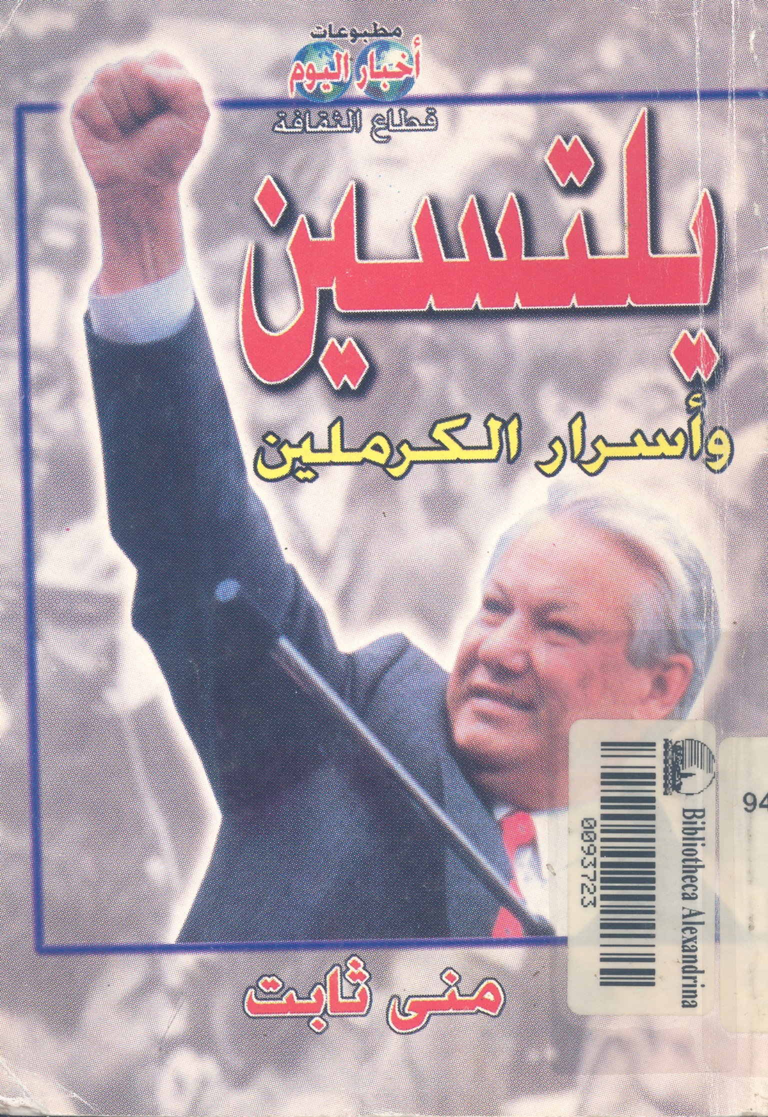


مطبوعات
أخبار اليوم
قطاع الثقافة
يلتسين
وأسرار الكرملين
منى ثابت



مطبوعات
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

■ أكتوبر ١٩٩٦ ■


مطبوعات
أخبار اليوم
قطاع الثقافة
يلتسين..
وأسرار
الكرملين
عرض وتلخيص : منى ثابت
أكتوبر ١٩٩٦

يلتسين ..
وأسرار الكرملين

الغلاف والإخراج الفنى :

مجدى حجازى



● عندما مات الدكتاتور الروسى الشهير جوزيف ستالين، لم يجرؤ أحد على دخول غرفته حيث كان يرقد فى فراشه لمدة يومين كاملين. ووقف الزعماء السوفييت وعلى رأسهم نيكيتاخروشوف على باب الغرفة وهم يتساءلون : هل حقا مات الرجل الكبير ، أم أن هذه إحدى ألاعيبه حتى يكتشف من الذى يتمنى له الموت فيبعث به وراء الشمس فى أصقاع سيبيريا مثلما فعل مع ملايين الروس الذين تجرأوا وقالوا له : لا ..

● وبعد ستالين جاء خروشوف ثم بريجنيف الذى كان آخر الرجال المرعبين فى الكرملين. حتى جاء جورباتشوف ومعه سياسة المصارحة «جلاسنوست»، وأخيرا جلس على عرش الكرملين الرفيق السابق بوريس يلتسين الذى تقف وراءه أمريكا وأوروبا لأنه يحارب آخر ما تبقى من فلول الشيوعية ، وينادى بسياسة السوق الحرة أو الاقتصاد الذى لا يعرف الدعم ويلغى تماما كل ما تبقى من آثار الاشتراكية فى روسيا.

● وكانت الزميلة والكاتبة الصحفيـة منى ثابت موفقة تماما فى اختيـارهـا هذا الكتـاب عن يلتسين وأسراره وأسرار الكـرملين بعـد رحلة مـذهلة فى روسيـا لم تنس فيها وهى تتظـاهر بأنها سـائحة أجنبيـة فى بلاد الـروس، أنها أيضا صحفيـة تسجل مـا تراه ومـا تسمعه عن هؤلاء الـروس بعد الطوفان الـذى ركبه يلتسين ومازال يتربع فوقه حتى الآن.

● وهذا الكتاب تسجيل لآخر صورة لـروسيا بعد هذا الانقلاب الكبير وتسجيل لتحـركـات يلتسين منذ استيـلائه على السلطـة فى روسيا من على ظهر دبابة أولا ، ثم بـالانتخابات الحرة ثانيا. ولكنه دفع الثمن وسقط مريضا، وأصبح أشهر مريض بالقلب فى العالم ، ولكن الكـرملين هذه المرة لم يستطع أن يحيط زعيم روسيـا بنفس القدر من السرية والضباب الكثيف الذى كان يخيم على روسيا منذ حوالى ٧٥ عاما.

وأصبح يلتسين وقلبه الخبر الأول فى معظم الاذاعـات ومحطات التليفزيون والصفحات الأولى.

● ومن أجل هـذا كـان هذا الكتـاب عن يلتسين وعن الكـرملين وأسراره..

كمـال عبـد الرءوف



نقـرأ نظريـات الشيـوعية .. فنجـدهـا رائعـة .. ترسم «المدينـة الحلم».. المفـروشـة فل ويـاسمين قيم ومبادىء العـدل والمسـاواة والإنسانية.. ونقرأ أخبار الدول الشيوعية .. فنرى صورة مرعبة !

ونتساءل :

لماذا ترتبط الشيوعية فى هذه الدول بـالرقابة والنفى والمعتقلات والفقـر والصمت والقهـر .. والحيـاة الجافـة .. والعيـون الجائعـة لمباهج حياة الـدول الرأسمالية .. تتمناهـا بشدة فقط .. لكن لاتثور ولاتعترض .. كأنها ليست شعوبـا .. بل قطعان تأكل وتعمل وتنتج وتموت .. دون رغبـة أو إرادة .. أو فـــرح .. ولايستمتع بلحمهـا إلا السيد الراعى فقط !

وكأن الشيـوعيـة هى الحيـاة المثاليـة .. لكن للطبقـة الحاكمـة وحدها!!

ونسمع كثيراً عن فساد السلطة وانحرافـاتها .. نرى مظاهرها .. ونشم رائحتهـا .. ولاينكشف الخفى منهـــا الا بمـوت أحـد هـؤلاء الأباطـرة .. أو اغتيالـه .. أو خيانتـه .. أو ثورة دمـوية .. وانهيـار أسوار الذل كما حدث فى ألمانيا الشرقية ونجتار أكثر .

وتجربة روسيا .. أو الاتحاد السوفيتى سـابقاً .. عشتها بعيون مفتوحـة .. احاول الوصول لاجابة على التساؤلات السـابقة .. لماذا تتحول الشعوب التى آمنت بـالمثاليات اسلوبا فى حيـاة كريمة .. إلى أشباح جائعة .. محبوسة .. ممنوعة من الوطن !!

اسمع من أهلى قصصا ونوادر المهندسين والعمال الروس الذين جاءوا يشـاركوننـا بناء السد العـالى .. تمويلاً وتنفيـذاً .. جاءوا من بلاد الثلج إلى منابع الشمس يشاركوننا الحلم والعمل .

واتشبع بـالأخبار المتـدفقـة المتصلة .. كلهـا تـؤكد ان روسيـا صـديق عملاق.. يبنى معنـا ويعمـر ويحقق لنا الخطط الطمـوح .. مصـانع حديـد وصلت .. آلات وتكنـولوجيـا زراعيـة وصناعيـة .. دورات تدريبيـة فنية وثقـافية .. علميـة وحربيـة .. سلاح فى السلم

وفى الحرب .. وتضحيات من شعب قوى إلى شعب ينمو .

وتركـزت فى ذهنى صورة تتقصها التفاصيل لهذا البلـد .. أقوى ثـانى دولة فى العـالم .. التى رفعت شعارات عمل وحيـاة أساسهـا المبادىء والقيم الانسانية .

وحلمت أن أرى ـــ روسيا بعينى .. وأسير على أرضها بقـدمى .. وتحقق الحلم عام ٨٧ فى شهر يوليو .

أمسكت فى يـدى بتذكـرة سفـر إلى موسكـو .. ومعهـا برنـامج الزيـارات السياحية المحـددة تفاصيله بـدقة .. داخل موسكـو تبدأ بالميدان الأحمر .. قبر لينين .. الكرملين .. دار العمـلات التذكارية .. الجامعة .. مسـاكن الشعراء والفلاسفـة .. ثم مدينة لينتجراد ورحلة بقطار النـوم ليلا لنـدخل «الأرمتياج» أكبر متـاحف العالم وأغنـاها على الاطلاق .

مع كل ساعة أغذى الحلم بمعلومـة جديدة عن ملامح روسيا .. المكـان والشعب .. وكانت المعلـومـات المتوافـرة ضئيلة جـداً .. لأن هنـاك ستاراً حـديديـاً يغلف هـذه المساحـة الشاسعـة من الأرض المكدسة بالبشر .. ويمنع تفاصيل أخبارها ، وملامح حياتها اليومية عن العالم كلــه .. كأنها مريض فى مرحلـة النقاهة مطلوب عـزله عن العالم فى خيمة الاكسجين .

وبقـدر الحلم كانت الصـدمة :

ابتداء من عذاب رحلـة الذهاب فى طائرة روسيـة خالية من أدنى مظاهر الترف .. انحشرنا فى كراسيهـا .. وأصم موتورها آذاننا حتى كـدت أشم رائحة العـادم وأنا داخلهـا .. وهى تتأرجح وتتخبط بين مطبات الهواء والسحـاب .. وحتى لحظة الهبـوط الأولى فى منتصف الرحلـة للتزود بـالوقـود!!.. فى مطار بـدائى بارد أشبـه بحظيرة فى

الصحراء .. وسط مناخ ضبابى فى شهـر يوليو .. هواؤه يحمل رذاذ المطر الخفيف بلا توقف .. ثم وصولنـا أخيراً إلى موسكو .. ووقوفنا ساعـات طويلة مملة نقطعهـا بالجلوس على الأرض للـراحة .. لحين انتهـاء مفتشى الجوازات من عملهم فى تفتيـش أوراقنـا وحقـائبنـا وعقولنا ونوايانا !!

ووضعت قـدمى أخيراً فى سيـارة أتــوبيس سيـاحى روسيـة .. تسير على أرض مـوسكو .. ويـرحب بنا فيهـا مرافق روسـى شـاب يتحدث العربية الفصحى .. ويتعامل معنا بتواضع وأدب مبالغ فيه .. تصورتـه اعتذاراً عن مشقـة الرحلة سـوف ينتهى بعد الـراحة .. بعدهـا يتبدل إلى «عجرفـة» باعتبارنـا قادمين من العـالم الثالث إلى أقـوى ثانى دولـة فى العالم .. كما تعـودنا ان نعـامل من الأوربيين والغرب .

ولكن المفاجآت والصدمات ظلت تتـوالى طوال اسبوعى الرحلة .. وأولها انه شعب مقهـور .. يعيش الشيوعية ـــ الاشتراكية بالرقـابة والمراقبة والنفى والمعتقلات والكبت والقهر .

المترجم يتمنى مانرتديه من ملابس بسيطة .. ما نأكله من طعام فى الفندق .. ومانبوح به من آراء ومشاعر بكل حرية .

معقول .. هم الذين يحسدوننا !!

وأين المدينة الفاضلة .. أين ملامح النظرية الشيوعية المثالية ؟

ومن الذى سرق رقـة النساء الـروسيات .. وصبغهن بـالصرامة والعـدوانيـة .. ليس فقط لأن المرأة تعمل سـائقة قطـار وأتـوبيس وعربـة قمامة وجـرار زراعى .. ولكن فى خشونة أقتحـامها لـزحام المحلات التجارية .. بقوة العضلات و «الكوع» لتتفرج فقط !!

هل أنا حقاً فى روسيا ؟!

نعم .. أنـا فى موسكو .. بـدليل هـذه الكنائس والجوامع الـرائعة البنـاء الزخـرفى .. والتى اخفى عيونى من الضـوء المبهر لانعكـاس الشمس على الـذهـب الخالص لقبـابها .. ونلمحهـا من كـل مـوقع وشـارع وميـدان .. ومن شرفـات الفنـدق .. وعلى مـدى البصر فى الشـوارع الواسعـة .. والمبـانى المنخفضة الارتفـاع .. تطل وتحكى تاريخ قصور وثراء القياصرة زمان .

ومازال فى هـواء المكان صـدى أصوات قديـم لتراتيل .. وأجراس الكنـائس .. وأصـوات المؤذنين .. التى كممـوهـا الآن ـ وقتهـا ـ بأشرطـة لاصقة .. وحـولوهـا إلى متـاحف ممنوع اقـامة الطقـوس الـدينية فيهـا .. نقف بطـوابير طـويلة صـامتـة بعد دفـع التذاكـر لنـدخلها.. وممنـوع على المرافق الاجـابة على أى أسئلـة لنا خـارج المعلومات المكتوبة باختصار .

وكـان ممنـوعـا على المرافق أيضـا تنفيـذ أى رغبـة لنـا خـارج البرنـامج المطبوع .. الشـامل لتفـاصيل المعلـومات والأمـاكن التى يجب ان نعرفها ونراها فقط .

وتأكـدنا ان حـركاتنا مـرصودة داخـل وخارج الفنـدق .. وكان فنـدق «راسيـا» أكبر فنـادق المدينـة وربما الاتحاد السـوفيتى على الاطلاق .. وهو يشبـه حصنا أو سجنا ولكنه «راق» متحضر يـوفر كل الخدمات .

حاولت من بـاب الفضـول الصحفى زيارة منزل المرافقـة الشابة .. للتعرف عن قرب على الحياة اليوميـة للمواطن الروسى .. اعتذرت بأدب .. سألتها عن ديـانتها أو ديانة أسرتها زمان صمتـت خوفاً .. لأن زميلها يراقبها ويكتب تقريـره عنها وعنا فى نهاية اليوم .. مثلما تفعل هى أيضاً !

كانت زيارتى فى عهـد جورباتشوف .. كانت الشيـوعية .. ومعها

شعـارات المصـارحة والنقـد الـذاتي والاصـلاح من خـلال الحزب الواحـد .. ولكنني لمست كل البيروقـراطية في التعامل اليـومي.. وفي الطوابير الطويلة الشهيرة التي كانـت تستمر ساعات للحصول على سلعة غذائية .. أو تذكرة .. أو زجاجـة «فودكا» بالسعر الرسمي .. أو حتى دخول مطعم!!.. وغالباً يفشـل نصف الطابور في الحصول على حاجته .. ويعود في اليوم التالي بنفس الصبر والصمت للانتظام في الطابور من جديد .

كان واضحاً جـداً مايتمتع به الحزب من مزايـا يحلم بها ملايين الشعب في صمت .. لايجرؤ أحد على الاعتراض .. أو حتى الغضب!!.

وعـدت للقـاهـرة بنفس «الذهـول» الـذي أمضيت بـه اسبـوعي الـرحلة .. أردد لنفسـي «مستحيل أن تكـون هـذه ثاني أكبر دولـة في العالم».

ومن نوفمبر في نفس العام (٨٧) .. أي بعدهـا بثلاثة أشهر فقط .. بدأ انفجـار البركان الخامد .. ولم يتوقف لـلآن .. ولم أتوقف عن متابعة حدوتـة الشيوعية .. والنظريات المثاليـة .. والدول العملاقة التي تشبه ناطحة سحاب صدر قرار بتفجيرها.

حتى قرأت هـذا الكتاب الأمـريكي «التاريخ السيـاسـي لبوريس يلتسين» .. بعدها وجدت الاجابة عن السؤال الذي طرحته في البداية هنا .. لماذا النظرية رائعـة والتطبيق مرعب .. وهـي لأن من يطبقونها «بشر».

مـنـى ثابت



قبل أن تقرأ الكتاب

أحدث صورة لروسيا

● أما آخر صورة لروسيا الآن .. فهى مختلفة .. فقد توالت الأحداث سريعة عنيفة عليها كقطار سريع بلا سائق ولامحطات .. وتحولت موسكو إلى «شيكاغو» .. وخرج يلتسين من معطف جورباتشوف .. ثورجياً يقود أول معارضة معلنة فى تاريخ روسيا ..

لتضاف ثورة جديدة للثورات السبع التى عاشتها روسيا فى سبعين عاما .. مع لينين ـ ستالين ـ خروشوف ـ بريجينيف ـ

اندروبوف ـ شيرنينكو ـ جورباتشوف .. والآن يلتسين الذى دخل بمفهوم سياسى ينهى تاريخ الاتحاد السوفيتى الذى لم يعد له وجود .. فعادت ولايات مستقلة بما فيها موسكو التى أصبحت ديمقراطية لأول مرة .

وشهد الاتحاد السوفيتى مرحلة مريرة أخرى فى تاريخه .. تبدد اتحاده .. وتقاتل أبناؤه .. وسفكوا دماء بعضهم .. وفقد قوته وصحته .. وتحول إلى جسد مريض .. لكن أمراضه معلنة .. وصراخه يسمعه الحاكم .. والعالم كله .

ودقت أجراس الكنائس .. وصعد الشيوخ على المنابر يدعون الشعب للصلاة .. وولدت أحزاب معارضة .. وأحزاب مستقلة تنتقد وتحاسب من خلال جرائدها الصريحة .

وفى شهر يونيو ٩٦ بالتحديد .. يوم الأحد ١٦ يونيو .. ظهرت كلمة النهاية ..كتبها الشعب الروسى يختم بها مرحلة من تاريخه وأعلن دخوله مرحلة مختلفة تماما .

وسجل التاريخ اليوم الرسمى لتحول روسيا من الشيوعية إلى الديمقراطية .. وفى اللحظة التى أعلنت فيها نتيجة الانتخابات .. وانتصر «يلتسين» .. وأصبح رئيس أقوى ثانى دولة فى العالم .. سابقا !!

فى هذه الانتخابات الأخيرة .. وقف الإعلام الرسمى وغير الرسمى .. والإعلام الغربى مع يلتسين .. وفى آخر أصعب شهرين .. استغل كل من المرشحين الأحد عشر للرئاسة كل مالديهم من سبل مشروعةوغير مشروعة فى سبيل انتزاع الرئاسة .. وانحصرت المنافسة فى الأيام الأخيرة بين «بوريس يلتسين» و«جينادى زيوجانوف» ـ زعيم المعسكر القومى الذى كان ينادى باشتراكية ديمقراطية .

وتبادل المرشحان الشتائم والفضائح .. وصرف كل مرشح أضعاف مبلغ الـ ٣٠٠ مليون روبل (التى تسلمها رسميا من ميزانية الدولة كل مرشح لتمويل دعايته).. بالاضافة للهبات والوعود مقابل صوت انتخابى.

ورسمت ترسانة الدعاية الغربية المحترفة خطة يلتسين وادارتها .. ونفذها هو بنجاح .. وكان أذكاها تخطيط دخوله مايسمى بمنطقة «الحزام الأحمر» .. المعروفة بدعمها للشيوعيين ومرشحيهم فى المجالس النيابية المركزية والمحلية .. دخل يضغط على «الدمامل» المعبأة بالمرارة .. مرددا ماتكرره أجهزة الإعلام ليل نهار من أخطاء الشيوعية .. والخوف من العودة لأيام المصادرة والتأميم وهروب رأس المال .. وهجرة الكفاءات من القهر والفقر .

ونجح يلتسين دون أن يسأله أحد من الـ١٠٥ ملايين ناخب روسى عن تفاصيل البرنامج الذى يطرحه .. أو يحاسبه على الوعود التى لم ينفذها من برنامجه السابق طوال خمس سنوات .

وحتى المرشح الشيوعى لم يسألوه عن برنامجه .. أخذ الكل المال والعطايا والهبات .. وسدت الدعاية المحلية والغربية الآذان .. وتحول المرشحان النهائيان «يلتسين وزيوجانوف» إلى بهلوانين فى سيرك .. كل منهما يتبارى فى سحب البساط من الآخر فى اللحظة التى يتصور أنها الأخيرة.

أظهر يلتسين كل مخالبه .. واستغل امكاناته الشخصية .. وهى العناد والشراسة فى المعارك .. ولعب بورقة تعثر الشيوعيين وكسب بها مساندة السبع دول الكبار الذين حضروا القمة النووية فى موسكو فى ١٧ مايو الماضى .. وانتزع قرارا من صندوق النقد الدولى بتقديم قروض مالية للكرملين .

وأظهر نفس شراسته السابقة .. التى دخل بها معركة ترشيحه

رئيسا لروسيا الاتحادية فى يونيو ٩٠ .. والتى فاز فيها من الجولة الثالثة بفارق ٤ أصوات فقط .. وكان فوزه سببا فى تغيير موازين القوى فى العالم .. وكسب الرأى العام بعد محاولة الانقلاب الفاشل فى أغسطس ٩١ .. وأصبحت السلطة فى يده بالفعل من وقتها ولم يتركها أبدا ..

واختفى اسم جورباتشوف نهائيا .. أصبح تاريخا وماضيا بمجرد اعلان فوز يلتسين مؤخراً .

ونجح الرئيس الروسى الشرس فى كسب أصوات الـ ٢٥ مليون ناخب الذين يمثلون المعسكر الشيوعى .. لأنهم فقدوا الثقة فى فوز مرشحيهم .. ولأن الكرملين نجح فى شق صفوفهم واستمالتهم .. وهكذا بدأ الحكم الديمقراطى وأنصار الشيوعية فى صفه .

ولكن .. أصاب المرض قلب يلتسين .. وأجتمع خبراء أطباء القلب من أمريكا وروسيا ليقرروا هل يجرون له عملية جراحية فى القلب المنهك.. أم أن الأمر إنقضى ؟

وشغل يلتسين انتباه العالم مرة أخرى. شغله من قبل بمعاركه.. وشغله اليوم بمرضه.

ولكن.. من هو بوريس يلتسين؟!

الإجابة.. حاول تقديمها هذا الكتاب الأمريكي الذى أثار اهتمام الخبراء والباحثين.. والقراء أيضا.. وأعيد طبعه ثلاث مرات.. وعنوانه «التاريخ السياسى لبوريس يلتسين».

الكتاب تأليف اثنين من الصحفيين الروس تعرضا لضغوط كثيرة فى روسيا.. وهربا إلى أمريكا لاجئين فى عهد جورباتشوف.. وبعد تولى يلتسين السلطة.. عادا مرة أخرى إلى روسيا فى أمان لتجميع مادة هذا الكتاب.

أهم ما فى الكتاب .. انه يتعرض للجانب الخفى لما كان يحدث فى

الشارع الروسى.. وحياة المواطن العادى.. وما كان يحدث داخل الحزب الشيوعى الحاكم وقتها.. وتفاصيل فساد الأباطرة الصغار الذين استفادوا من مواقعهم فى الحزب.. قال عنهم يلتسين فى الكتاب انهم عدة آلاف وليسوا مئات.. عاشوا فى بذخ اسطورى والشعب واقف فى طوابير الفقر والجوع.. ووصف قصورهم وفسادهم بقلمه وأضافه للكتاب..

وأيضا يقدم الكتاب دراسة إنسانية بالغة الاتقان عن شخصية «يلتسين».. والفروق بينه وبين جورباتشوف.

من هذه العناصر.. اكتسب الكتاب أهميته..

تنبأ المؤلفان فى هذا الكتاب بأن يلتسين هو رئيس روسيا الديمقراطية القادم.. على أساس ما كان يحدث فى الاتحاد السوفيتى منذ بدايات الثمانينات.. من صراعات بدأت تطفو على السطح فى نوفمبر ١٩٨٧.. نتيجة لفساد أعضاء الحزب الشيوعى الحاكم.

وقدما استنتاجهما.. باستعراض مساوىء ومميزات النظامين الشيوعى والديمقراطى.. من خلال استعراض تفاصيل فساد أعضاء الحزب.. والإسهاب فى عرض مقارنة بين شخصية كل من الرئيس جورباتشوف ـ وقتها ـ وبين شخصية «يلتسين».. الذى أطلقا عليه لقب «البطل» الذى ينتظره الشعب الروسى بفارغ صبر..

وتحققت نبوءة الكتاب بعد الانتخابات الروسية الأخيرة.. فعاد الكتاب يحتل المراكز الأولى فى التوزيع من جديد.

وهذا الكتاب الهام.. هو نموذج لكيفية صناعة وتقديم «البطل» للعالم.. وقد ظهر لأول مرة بعد مأساة المواجهة التاريخية الدامية التى جرت وقائعها فى الرابع من أكتوبر ٩٢.. بين «يلتسين» وأعضاء البرلمان المعترضين على قراراته وسياساته.. هذه المواجهة

التاريخية التى انتهت بإشعال النيران فى مبنى البرلمان.. وإلقاء القبض على زعماء المعارضة.. وحظر نشاط أحزابهم ومصادرة صحفهم.

والآن ــ قال الناخبون الروس رأيهم.. واختاروا مستقبل بلادهم.. اختاروا الديمقراطية بعد محاولات كثيرة لعودة الشيوعية للحياة.

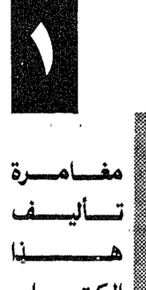
واحتفلت روسيا احتفالا متواضعا بإعادة انتخاب يلتسين رئيسا لروسيا الاتحادية للمرة الثانية .. وسط تأكيد الأطباء بأنه يقترب من النهاية بسبب قلبه المريض .. واستمرار إدمانه للخمر .. ووسط أزمات اجتماعية وسياسية واقتصادية عجز عن حلها .. ومازالت تنخر فى عظام روسيا .. وتفتح الباب لمفاجآت جديدة فى مستقبلها .



١ مغامرة تأليف هذا الكتاب

- قصة هروب المؤلفين من روسيا .. ثم شهرتهما في أمريكا.
- يلتسين يصمم على قراءة «مسودة» الكتاب.. وكأنه في نفس مأزق الملك «لير».





١

مغامرة تأليف هذا الكتاب

مؤلفا هذا الكتب هما.. «فلاديمير سولوفيوف» و«إيلينا كليبيكوفا» وهما صحفيان روسيان.. متزوجان.. تعرضا للاعتقال أثناء الحكم الشيوعى.. وتم طردهما من نقابة الصحفيين والكتاب لمواقفهما ضد الرقابة ومصادرة الحريات.

ووجدا طريقهما للولايات المتحدة الأمريكية.. ليشكلا معا ثنائيا فريدا فى الكتابة عن الشئون الروسية فى أكبر الجرائد الأمريكية (نيويورك تايمز ـ شيكاغو تريبيون ـ لوس انجلوس تايمز ـ وول ستريت جورنال ـ كريستيان ساينس مونتيور).

وهما أيضا مؤلفا كتاب (يورى اندروبوف.. رسائل سرية إلى

الكرملين).. وكتاب (خلف الأسوار العالية للكرملين).

أما كتابهما الشهير هذا عن «يلتسين».. فقد اهتمت به ودعمته الدوائر السياسية الأمريكية.. لأنه يقدم صورة عن قرب لشخصية هذا الرجل.. من خلال لقاءات مع المحيطين به ومع عائلته.. بل واضافات من «يلتسين» شخصيا.. الذى طلب قراءة مخطوطات الكتاب قبل نشره.. وقرأ كل كلمة فيه.. وأضاف.

ولم يعترض إلا على تفاصيل عائلية جدا من الممكن أن تسىء لابنته حاليا.

وقد هرب المؤلفان من روسيا فى خريف عام ٧٧ .. وعادا إليها بعد ١٣ عاما.. بعد ظهور يلتسين وتباشير الحرية والحصول منه على وعد بالأمان.. وذلك لتجميع مادة هذا الكتاب.. وكتبا عن رحلة الهروب والعودة :

— «المدينة التى تركناها كانت محطمة.. مذعورة .. محكمة الأفواه سياسيا.. كل من يجهر برأيه معرض للسجن أو النفى أو ماهو أسوأ.. ومعرض لابتزاز المخابرات المركزية السوفيتية.. ورقابة على التليفونات.. وعلى كل ما يخرج من الحنجرة.. ومحاولات اغتيال».

— «وكنا نحاول إنشاء وكالة أنباء مستقلة .. وهذا عمل غير مشروع وقتها.. وتخلى عنا أقرب الأصدقاء خوفا على حياتهم ومستقبلهم.. واضطررنا لفض الوكالة بعد عمر قصير جدا والهرب من روسيا ليس بسبب مطاردة السلطات لنا.. لكن أولا.

● لأننا انعزلنا.. ابتعد عنا الأصدقاء.

وفى يوم أذاعت صوت أمريكا مقالا لنا نشرناه فى النيويورك تايمز.. سمعه صديق فى روسيا فجاء ينصحنا بالهرب لأننا دخلنا فى منطقة سوف تجلب علينا نوعا جديدا من الرعب».

ـــ «ورحلنا لأننا عـرفنا أن روسيا لن تنعم بالحريـة قريبا.. أو على الأقل فى عصرنا.. وذلك من تجربتنـا ومن قراءة تـاريخ روسيا عبر آلاف السنين.. أدركنـا انـه لن يهز احـد حالـة الـرعب وجبـال الخوف».

كتب المؤلفان ملحوظات عن مغامرة جمع معلومات هذا الكتاب.. قبل المقدمة الطويلة.. قالا فيها :

إن هـذا الكتاب هـو حصيلـة معلومـات جمعنـاهـا أثناء ثـلاث رحلات لروسيا خلال عام ونصف العام من ٩٠ إلى منتصف ٩٢ ..

وساعدتنـا مجموعة كبيرة من داخل روسيا.. ومـن المقربين جدا «ليلتسين» بمعلـومـات بعضهـا بـالتليفـون ـ البريـد ـ وبشكل شخصى..أغلبهم لانستطيع إعلان اسمه لحمايته.

بعد ظهور أحـدنا فى التليفزيون الـروسى.. وكلامه عن مشروع هذا الكتـاب.. غمرنا طوفـان من المعلومات حتى لحظـة رحيلنا من روسيا إلى نيويـورك.. وبعد عودتنا لأمـريكا.. وجدنا «أكـواما» من الخطابات من المهاجرين الروس الذين التقوا «بيلتسين».. يضيفون لنا المزيد من الحكايات.

وكـان من حسن حظنـا فى آخر رحـلاتنـا.. اننـا وجدنـا شركـة سياحـة تنظم رحلة تشمل الأمـاكن التذكاريـة الخاصة «بيلتسين» وزيارة قريته.

هناك كانت تنتظـرنا عربة سيـاحة خاصة بـالشركة.. دارت بنا على الأمـاكن التى تعلم فيهـا.. الكليـة.. وأصدقـائه القـدامى أيـام الدراسة الذين حكـوا لنا عن بطولاته.. علاقاتـه العاطفية.. نوادره.. وأشهر أصدقائه.

التقينا وتكلمنـا مع مايكفى من الأشخـاص.. بعضـهم حـاول أن يضفى على القريـة شيئا من البطولة والتـاريخية.. ويتغنى بأمجاد

الزعيم.. ولكننا أيضا تكلمنا مع الجانب الآخـر ـ تليفونيا ـ الجانب الرافض والمرفوض لأنه أكثر نقدا وثرثرة.

ومن الملحوظات الكثيرة التي كتباها قبل المقدمة أيضا :

ربما كان «يلتسين» نفســه له دخـل بحالة العبـودية والتـأليه.. وفن اضفاء الغمـوض على الشخصية التى تحدث بها عنه مـؤيدوه فى القرية.. وربما لا!!

ولكن «يلتسين» أصر على رؤيـة «مسودة» مـا نكتبه عنــه.. وهو ما كنا لانجرؤ على طلبه منه.. وفوجئنا أنه غضب لأنه لاتزال هناك أجـزاء لم تكتمل فى العمل.. خصـوصا الجزء الـذى يصف انقـلاب أغسطس الذى كان له تأثير هائل فى مستقبل روسيا ويلتسين ..

وجاءنا الطلب بشكل ساخر يقول :

هل أنـا رئيس روسيـا أم لا؟ أليس من حقى معرفـة مـا يكتب عنى؟

وطبعا لم نشك فى أن تشوقه هذا نابع من شدة حبه لذاته!..

لاندرى مدى الانتباه والتركيز الـذى قرأ به يلتسين «المسودة».. لكنه أخـذها معـه فى رحلاته المكـوكية مـا بين بيته الأبيض — أو ضيعة الرئيس الروسى ـ ومكتبه فى الكرملين...

ولكننا بعـد «طلوع الروح» استطعنا انقـاذه ـ واستعادتـه ـ فى آخر أيـامنا فى موسكـو.. لأنها كانت نسخـة عمل.. بما تحمله من تصليح واضيافات وهوامش وملاحظات فى الترجمة.

إصرار يلتسين على قـــراءتها أثـــار قلقنـــا.. وطبعـــا لم يكن فى استطاعتنا عمل نسخة ثانية.. لأن فى موسكو هذا مستحيل.. وليس مثلما فى نيويورك فى كل مقهى ماكينة تصوير.

ابنة يلتسين الصغرى «تـانيا» أكدت لنا أن والدهـا قرأ النسخة من البـداية للنهـاية.. وأكـد سكـرتيره أنه كـان مندهشـا من كم

المعلومات التى جمعناها عنه.. وهى أكثر مما جمعها هو عن نفسه وهو تقديم نفسه سياسيا.

الديمقراطية .. مأزق يلتسين !!

• وعن انقلاب أغسطس الشهير كتبا:

أجلنا كتابة الفصل الخاص بـ«ثلاثة أيام فى أغسطس».. لنتمكن من عمل حوارات مع بعض من شاركوا فى الانقلاب.. والشهود لهذه الحادثة التاريخية لتوضيح دور جورباتشوف فيه.. وفعلا خرجنا بما فاق كل توقعاتنا.

بعد شهر كامل عسكرنا فيه فى ممرات ومكاتب مركز القوة الجديد.. قررنا إضافة فصل عن المستقبل المتوقع لروسيا.. من خلال ما حدث.. وتفاعله مع شخصية يلتسين.

ويلتسين اعتاد البدء بالمعارضة فى الاتجاه المضاد دائما فى هجوم مباغت.. ومستعد للتطاول والانطلاق فى حرب مع الكرملين.. وكنتيجة لانقلاب أغسطس الفاشل.. فوجىء بالكرة تسقط فى ملعبه.. فأصبح فى مأزق.. فليس لديه صورة تفصيلية عن شكل الحكم.. ولا المهارة اللازمة لإدارتها فى هذه الحدود الجديدة.. وفى شبه الغيبوبة التى يمر بها زعماء روسيا الجدد وفى الأسابيع الأولى بعد الانقلاب.

أما البيت الأبيض لموسكو الذى وجدناه.. فكان عبارة عن خلية نحل من المعارك والمؤامرات.. ودسائس تجريد الرئيس من مجموعة أعداء الديمقراطية التافهين.. الذين تورطوا فى تطاحن قديم لتحقيق المكاسب الخاصة.. حتى المافيا الذين زرعهم يلتسين وسط مساعديه ومؤيديه كانوا منشقين.. لدرجة تدعو لتشبيه «يلتسين» بالوريث المحظوظ الذى يتنافس الجميع لكسب وده.

وتمر الأحداث بسرعة.. ويتبخر وهج الانتصار المفاجىء..

ويتحول إلى دخان يحل محله الخوف من انقلاب جديد..

وتحليلنــا للمــوقف وقتهــا.. ان المجتمع كان متعطشــا فــاقــد الصبر.. يتــوقع المعجـزات من يلتسين وأولها وضع ميثاق جـديـد عظيم.. ولم يحدث ذلك.. فبدأوا يتساءلون: كيف تكون الديمقراطية أفضل من الشيوعية؟!.

أجـابت الأغلبية: «ربما الـديمقـراطية أسـوأ».. وتبـادلوا روايـة هنديـة قديمـة عن شحات كـانت جروحـه تنزف والـذباب يتجمع حولها.. عنـدما جاء شخص غـريب طيب.. حاول أن يهش الـذباب فاعترض الشحـات قائلا: «اتركهم فى حـالهم ياسيدى.. فقـد أخذوا كفـايتهم وشبعـوا.. وهم لا يسببـون أذى أو فـائدة الآن.. لأنك إذا طـردتهم جاء الجيـاع بـدلا منهم.. وسيمتصون دمى ويتركـوننى أسوأ قبل أن يشبعوا».

وظهر سؤال جديد:

هل مازالت لدى يلتسين طاقة باقية لتجربة قوته فى بناء الصرح الديمقراطى؟

لقد استقـر النظام القـديم على اتحادات.. والجديد يحتـاج وقتا لبنائه.. المدينـة تتفسخ قطعـا.. اقتصادها ينهـار بقوة .. الفـوضى السياسية تفشت فى المجتمع المريض الذى يتألم.

مأزق الملك لير

وصور المؤلفان حالة يلتسين وروسيا.. بحالة الملك لير:

— بـانهيـار الاتحاد السـوفيتى .. أصبح «يلتسين» مثل الملك «لير» بعدما قسم مملكته بين بناته ومثلما قال «ميكافيللى»: إنه لكى يملك خسر مملكته كلها.

ولم يكن يلتسين يملك وقتـا للمنـاورة مثل جـوربـاتشـوف.. الوقت كله ليس فى صـالحه.. فهل خطط له منذ زمن طويل؟!!

أم هو ارتجال سياسى؟!

أو هو سهم الساعة الحادية عشرة مساء - أى السهم الأخير؟!!

وهل يملك يلتسين القوة أو الوقت الكافى ليتحول من «مدمر» إلى «مشيد»؟.. بعدما جاءته القوة فى الستين.. وهو مستنزف عاطفيا وبدنيا!!

—قبل ساعات من رحيلنا وعودتنا إلى نيويورك.. وبالتحديد فى منتصف الليل — جاءنا تليفون من مكتب «يلتسين».. وبعد مناقشات طويلة وافقنا على حذف قصتين تتعلقان بواجبات يلتسين الأبوية.. لأنهما تظهراه بشكل شخصى معقد.. عصبى — حاد المزاج.. متقلب المشاعر.. موهوب لكنه «دقة قديمة» وليس مودرن فيما يتعلق بالعلاقة بين الرجل والمرأة- وهذا تعبير ابنته.

قدم الناشر الأمريكى الكتاب بمجموعة من الأقوال المختصرة منها:

— «لن أسمح لك بالعودة إلى السياسة أبداً»

من جورباتشوف الى يلتسين عام ٨٧.

ثم كتب :

القليل فقط من القادة السياسيين نجحوا فى «كهربة» العالم فى السنوات الأخيرة.. مثلما فعل يلتسين.. أول رئيس يتم اختياره بديمقراطية طوال ألف عام من تاريخ روسيا.. والرجل الذى تركزت عليه كل أنظار العالم فى أغسطس ٩١.. ثم فى ديسمبر من نفس العام رغم اجهاض محاولته البوليسية وقتها.. وأن المؤلفين «سولوفيوف» و«كليبيكوفا» ينتميان للأقلية من الكتاب الروس.. الذين يدركون حقيقة «يلتسين».. وأنه ليس بطلا حقيقيا.





من هو بوريس يلتسين؟!

- الليالى المزعجة .. الأم على ماكينة الخياطة .. وهو يبحث عن الدفء فى حضن «الماعز».
- الأب يضربه بالكرباج .. وهو لا يصرخ أبدا.
- كره دراسة كلية الحقوق .. لأنها ليست لها علاقة بالواقع ..!!
- بعد عشرين عاما .. اعترف أستاذه أنه ظلمه لأنه كان عنيدا بدرجة تثير الجنون.

٢

من هو بوريس يلتسين ؟!



كل من يلتسين وجورباتشوف تم تعميده فى الكنيسة (مسيحى الديانة).. مر تعميد جورباتشوف تقليديا هادئا.. أما يلتسين فبدأ حياته بحادثة اعتبروها نذيرا للمحن التى ستقابله فى حياته.. فقد أنزله القسيس فى المعمودية ـ حيث يجب أن يغطس المولود فى المياه وتغطى رأسه ثلاث مرات ـ وهو «سكران» أو سارح ـــ وتأخر فى إخراجه حتى بدأت تظهر فقاعات المياه. ان الطفل يغرق.. اندفعت الأم لإنقاذه فقال القسيس انه طفل قوى جدا سوف نسميه بوريس (نسبة للأمير بوريس أحد شهداء روسيا)..

أن يولد الانسان فى قرية روسية عام ٣١.. معناها مستقبل

مظلم وقتهـا.. حيث كانت تمارس سيـاســة قمع وإبادة الفـلاحين المعـارضين للسياسـة الـزراعية الجديـدة القـائمة على الاستعبـاد والسخرة..

ويعيش يلتسين فى عـائلـة كبيرة العدد.. وسـط ثلاثـة أجيـال ـ ٨أفـراد ــ ينامـون على الأرض محتمين ببعضـهم من البرد.. وكـان طفلا غير مرغوب فيه فى ظروف الفقر هذه ..

كان جـده حـداد القريـة وشيـخ الكنيسـة.. ولكنــه من طبقـة الـ Kulak المرفوضة من الحكام الجدد.. لذلك صودرت أملاكه وتم نفيه هـو وعائلته الكبيرة ــ حوالى ٧٠فـردا ـ و١٢عائلـة أخرى إلى الجنوب فى منطقة الغابات البعيدة ..

وعاشوا فى ثكنـات مفتوحة درجة الحرارة فيهـا ٣٠تحت الصفر طـوال شهور الشتـاء.. ولم يتحمل الجد قسوة المنـاخ.. وتوفى بعـد أربعة أشهر من نفيه ..

أمـا من بقـوا على قيـد الحياة .. فقـد أرغمـوا على الانضمام إلى (القوقاز) بعد نهب أملاكهـم.. وواجه يلتسين وأخوته الاربعة الموت جوعا بعـد نهب «القوقاز» لمخازن الحبـوب.. ولم تكتب لهم النجاة إلا بعـد السماح لهم بـالرحيل إلى المدينـة بحثـا عن طعـام ومأوى دافىء ..

لم يـرغب يلتسين فى الحديث عن هـذا الماضـى المأساوى.. لأنـه كان يعتبره قدر والديه.. لكنـه مخطىء لأن أحداث الثلاثينات أثرت فيه طول حياته .

وحكت أمـه تفاصيل الطفـولة التعيسـة.. حيث توالت ضربـات القدر بعد سنوات المجاعـة والنفى.. اتهم عمه زورا بالتمرد.. وحكم عليه بـالأشغال الشاقـة مدة طويلـة فى مدينة بعيـدة.. ورحلت معه العائلة كلها لتعانى من عذاب معاداة الحكومة ..

بعد عامين.. ألقي القبض على والده وأودع السجن شهورا.. وبعد إطلاق سراحه أصبح عاطلا مدة طويلة.. لأنه اعتبر عدوا للشعب.. وكانت تهمته هى رفض إطاعة الأوامر كعامل بناء.. لأنه رأى أن التصميم المطلوب منه تنفيذه لبناء مصنع به خطأ.. ورغم ثبوت صحة رأيه بتقرير من خبراء جاءوا من موسكو.. إلا أنهم لم يتراجعوا عن معاقبته لأنه خالف الأوامر .

واضطرت أمه للعمل.. ولا يتذكر يلتسين إلا الليالى المزعجة وهى منكفئة على ماكينة الخياطة فى ركن الغرفة الضيقة.. لأن العائلة يجب أن تعيش..

وتقول أمه ـــ ٨٤عاما ـ انه كان يساعدها دائما فى كل شىء .. رعاية أخوته الصبيان.. وأخيرا اخته الرضيعة.. يطبخ الطعام للأسرة.. يأتى لها با لمياه.. يغسل الصحون.. وأيام الحرب كان يقف ليالى طويلة فى الطوابير للحصول على رغيف لأسرته..

ومازالت الأم تحتفظ ببطانية صغيرة رسم عليها أسماكا ذهبية وهو صغير ..

وتعلم استخدام ماكينة الخياطة أيضا.. ليساعد أمه.. ويتحول إلى «ذراعها اليمنى».. واحترف الخياطة لدرجة أنه كان يخيط ملابسه الداخلية بنفسه ..

وملاحظة جانبية ذكرها المؤلفان : انه كان فى زيارة لأمريكا.. وأثناء زيارة مصنع للملابس فى مانهاتن بنيويورك أذهل العاملين بمهارته فى إدارة ماكينة الخياطة ..

وتؤكد الأم وهى مندهشة أن يلتسين لم يتخل عن واجباته والتزاماته العائلية رغم عمره ومركزه ..

ظلت علاقته بأمه علاقة صداقة وتفاهم كامل .. ومساعدة فى كل شئون الأسرة حتى سن المراهقة.. ولايخجل من أصدقائه أو

الجـيران لأنـه يقـوم بأعمـال المنزل ..

كانت أمه تحميه من غضب أبيه ووحشيته.. لذلك ظلت المرأة فى نظره هى الطيبة والدفء والعاطفة التى ترطب عالم الرجال القاسى الجاف.. وتحقق كل الاحتياجات..

بذلك كان دائما قريبا من النساء فى الجامعة والمصنع.. يفهم مشاعرهن.. ويتقن أسلوب معاملتهن بشكل رائع.. دون التورط فى مشاكل عاطفية..

وعندما تحدث فى الكرملين باسم ملايين السيدات الروسيات هاجم زوجة جورباتشوف باعتبارها عضوة فى العائلة الروسية.. لأنها فضلت حياة الرفاهية والراحة فى مجتمع يفتقر لأدنى الاحتياجات..

عاش عشرين عاما فى « ثكنات » لا تعرف شيئا عن «الخصوصية» لم ينس أبدا أيام الجوع وأن أخوته كادوا يموتون جوعا لولا لبن « المعزة » الدسم الذى عاشوا عليه.. والتصاقهم بها ليلا حتى لا يتجمدوا.. ووصف « المعزة » بأنها كانت دافئة مثل «بوتاجاز» .. ولم ينس أنهم كانوا لا يخرجون من « العشة » طوال الشتاء لأنهم لا يملكون ملابس تحميهم..

وذاكرة طفولته يختبئ فيها عدوان.. شتاء سيبريا ـ أيام النفى ـ ووحشية والده.. الذى كان يعمل على جرار زراعى.. كان يضربه بشدة وهو لا يصرخ أبدا.. « يجز » على أسنانه لكن لا يصدر صوت ألم.. فيتضاعف صياح أبيه وتعذيبه.. والطفل على عناده وسط دهشة الجيران.. وكان الأب يجبره على الوقوف فى ركن الحجرة طوال الليل يرتعش من الثلج ومن مياهه .. وهذا أسلوب أبيه فى تعليمه وتقويمه.. رغم كل خدماته للأسرة..

كان أبوه ساديا يتلذذ بتعذيب الآخرين.. وبالتالى ظهر ميل

الابن للماسـوشية (التـلذذ بتعذيب نفسه) ..

لم يكن يلتسين يشعر بالحزن لحاله.. لذلك تحمل أعباء كثيرة.. وزاد من قسوته على نفسه بدرجـة شاذة (مرضية) .. وامتد ذلك لكل تفاصيل حياتـه ، والصعاب والمشاكل تثير حماسه.. وطـاقاته الـدفاعيـة والخلاقة لا تنطلق إلا مع تـزايد الضغـوط وذلك بسبب الضرب بالحزام والتحمل فى صمت حتى سن الخامسة عشرة..

وفى يوم أمسك بيد أبيه قبـل أن ينهال الحزام على جسده.. وقال له عبـارة مازالت محفورة فى ذاكرتـه «كفى.. من الآن سوف أتكفل بتعليم نفسى».. وبكل بسـاطة وهـدوء وحسم أيضـا أنهى مرحلـة التعذيب ..

●●●

قسم المؤلفـان فترات حيـاة يلتسين إلى طفـولة وشبـاب وكفـاح لتحقيق الطموح.. حكيـا أدق تفاصيل حياتـه ومشاعره وعلاقـاته.. قـالا انـه كان دائما زعيما حتى لـو فى شلـة صغيرة.. يهوى وضـع الخطط وتنظيم الرحلات..

ودائما يختار أسلـوب الثورة فى وضـع خططـه.. يرفض القـديم أولا.. ليس بتلقائيـة إنما بخطة مدروسـة وكاملة حتى بـالتفاصيل الصغيرة .. وكلها تسير على مبدأ ستالين وهو «الانتصار للعدالة»..

أيام المدرسة الثانوية.. وقف أمام الطلبة وهيئة التدريس يطالب إحـدى المدرسات بتقـديم استقـالتها لأنها لاتصلح للتعليم.. وهـو تصرف يشبه العصيان المدنى وقتها.. ويعتبر عملا انتحاريا.. كرره فى ٢١اكتـوبر يـوم هاجم جـوربـاتشوف والكـرملين وفضـحهم فى مؤتمر علنى ..

اتـخذ لنفسه صورة الروسى الباحث عن الحقيقة ـ كما فى الأدب الروســى ـ أعلن أن معركتـه فى الحياة هى النضـال من أجل الحق

والعـدل.. وأول تجربـة لتحقيقها يـوم منع أبـاه من الاستمـرار فى ضربه بالحزام.

ثم فى عمـر ١٨سنة انتصر على ظلم آخر عنـدما تم رفـض طلبه للحصول على التخرج من المدرسـة الثانوية من مـدرسته مباشرة.. وكـان الحصول على الشهـادة يمر بـأربع مراحل وهى : امتحـان مـدرسته.. ثـم امتحان المدينـة.. ثم الهيئـة التنفيذيـة للحـزب.. ثم مجلس المدينة .

رفض.. واعتبر هـــذا ظلما وبيروقـراطيـــة يجب إصــلاحهـــا.. وانتصر.. وكانت هـذه ثانى التجارب الإيجابيـة التى دعمت ثقته فى نفســه.. وفى ايمانه بضرورة انتصــار العـدالـة.. وهو مـازال تحت العشرين .

هذه الأحـداث وغيرها أكدت لـه أولا : إمكانية تحقيق النظـريات المثاليـة الرائعة التى أرساهـا ستالين.. والتى ظل يدرسـهـا وهو فى عمر المراهقـة ويقارنها بنظـريات لينين محاولا فهم سبـب الفجوة بين النظرية والتطبيق ..

وفى عمـر من ٢٠ : ٢٥ سنة .. التحق بـدراسة الهنـدسة وكـان يرغب فى دراسة الحقوق.. لكنه رأى أن مـايدرسه الطلبة من قوانين فى جامعة موسكو لاعلاقـة له بما يمارسونه بعد التخرج.. وانهم فى مـدارس الحقـوق الـروسيـة يبعـدون الطلبـة عن التفكير المنطقى ويركـزون على تعليمهم الاجراءات التـأديبية الخاصة بتـأمين نظام الدولة فقط.. خصـوصا تأديب وسائل الاعلام..

وفى الكلية كان زعيم المعارضـة.. ورئيس اتحاد الطلبة.. تزعمهم مرة للمطالبـة بفترة كافية للاستعداد للامتحـان.. وتحدى مرة أحد الأساتـذة فأعطاه عقابا وظلما درجـة أقل مما يستحقها فى مـادته.. واعترف الاستاذ بعد عشرين عـاما أنه ظلمه لأن كان عنيـدا بدرجة

تثير الجنون.. وانه كان على حق .. وكان يستحق الدرجة النهائية ..

وأيضا اعترف الاستاذ أنه أراد إعطاء يلتسين درسا فى الطاعة.. فأخرجه أمام الطلبة وقال له : إذا أردت أن تنجح فى حياتك فأول شىء يجب أن تتعلمه هو الطاعة هكذا.. وضغط بيده على رأس يلتسين «لتنحنى» تظاهر يلتسين بالتجاوب والانحناء وفى لحظة «شنكل» المدرس بقدمه.. ليقع على الأرض وسط ضحكات الطلبة الساخرة..ولم يحن رأسه ..

طوال فترات الدراسة كان ينطلق لتجربة كل شىء.. رياضة ـ رحلات داخلية ـ دراسات مختلفة.. كأنه يجرب حدود طموحه وتحمله ليتجاوزها.. عكس جورباتشوف الذى كان يفضل السفر خارج حدود روسيا..

وكان دائما يسير فى «شلة».. لأنه زعيم ..

وبعد الزواج .. لم ينفصل يلتسين عن عائلته.. وظل حتى اليوم ـ وبفضل زوجته ـ على علاقة قوية بأقاربه وأصدقائه القدامى وجذوره الممتدة لأيام الحياة فى ايواء الحكومة.. لأنهما يؤمنان ان هذه الجذور سند وقوة.. واستمرت زوجته «نانيا» تعمل فى قريتهم لمدة ٢٩عاما حتى وصلت إلى منصب رئيس المهندسين.. وقبل وصولها لسن المعاش بعامين استقالت.. واستقرت فى موسكو بجانب زوجها.. تعمل فى وظيفة تناسبها وترعى أحفادها.. وتطبخ لعائلتها بنفسها.. وتتولى الرعاية الكاملة لزوجها..

ويضيف المؤلفان... أن المرة الوحيدة التى شوهدت فيها دموع يلتسين.. كانت يوم جنازة والده.. فهل كان يحبه!!؟

الأكيد أن قسوة الطفولة جعلت جلده ينمو سميكا.. واعانته على الصمود فى مواجهة أصعب المواقف والمخاطر فى حياته ..

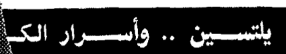
لذلك عندما أصبح زعيما لروسيا.. اتبع سياسة الدخول فى

معـارك ضــد الامتيـازات والفســـاد.. ولم يهتم بـالنقـد والهجـوم والاتهام بنفاق الشعب .

وانضم له الشعب لأنـه يعرف احتيـاجاتهم ومعـاناتهم ويتكلم لغتهم دون تمثيليات أو شعارات.. عكس جـورباتشوف الذى اتخذ مظهـر النبـلاء المترفعين.. ولم يهتم بـرد فعل الجماهير لما يقـولـه أويفعله ..

وكـراهية يلتسين للـرفاهيـة هى من بـواقى ذكريـات الماضى.. لذلك بعـدما تزوج وأنجب ابنتيـه رفض العيش فى شقة بـالمدينة.. وفضل الإقامة فى منازل العمال بالقرب من المصنع كما تعود ..

وحتى الآن تعيش الأسرة فى شقـة من ثـلاث غرف نـوم.. فيهـا الأبناء والأحفاد.. لأن يلتسين أيضـا لايحب أن يكون وحيدا.. يبحث عن وجـود زوجتـه دائما.. لأنه يخاف الـوحـدة .. وربما لايحب أن يواجه نفسه لأنه يمل منها !!!





٣

الميلاد السياسى ليلتسين ..

● تفاصيل فضائح وفساد « عش الوطاويط » . الكرملين .

● حول موائد الخمر والكافيار فى قصور السلطة .. كان الحزب الحاكم يحكم الشعب .

● المخابرات المركزية تحمى الفساد وتتولى مهمة الترفيه وتأمين مخصصات الحزب .





الميلاد السياسى ليلتسين ..

تخرج يلتسين فى كلية الهندسة عام ١٩٥٥.. وترك بلدته الصغيرة بحثا عن حياة أفضل .. فانتقل إلى مدينة Sverdeovsk .. حيث يوجد أكبر المراكز الصناعية فى روسيا.. وعمل به مهندسا وتدرج فى المناصب حتى أصبح مديرا للمصنع.. وبالتالى حصل على منحة عضوية الحزب عام ١٩٦١.. وكانت هذه بداية عمله السياسى.. الذى انتهى به مساعدا لجورباتشوف فى تنفيذ سياسة الاصلاح التى أعلنها الحزب ـ وكان جورباتشوف قد سبقه فى عضوية الحزب — بتسع سنوات — ثم زعيما للمعارضة.. ثم رئيسا لروسيا.

ولم تتوقف المعارك بينه وبين جورباتشوف أبدا.. ومرت علاقتهما فى الحزب بفترات مصالحة.. ومؤامرات.. وحرب باردة.. ومواجهة شرسة..

وفى هذا الفصل قدم المؤلفان تفاصيل الميلاد السياسى ليلتسين.. ومعه جدول مقارنة على صفحتين شمل كل تفاصيل حياتهما وأحلامهما.. ثم كتبا تحليلا للجدول.. هذا ملخص له.

المنصب	يلتسين	جورباتشوف
	رئيس روسيا	رئيس الاتحاد السوفيتى (سابقا)
المرتب	٤ آلاف روبل شهريا (٤٠٠ دولار تقريبا)	نفس المرتب حتى ديسمبر ٩١
تاريخ الميلاد	١ فبراير ١٩٣١	٢ مارس ١٩٣١
مكان الميلاد	قرية Butka ٨٧٥ ميلا شرق موسكو	قرية Privolhoye ٧٥٠ ميلا جنوب موسكو
الخلفية الاجتماعية	فلاح.	فلاح
ملامح الشخصية	متحفظ	ملول (عديم الصبر)
الطول ـ الجسم	٦,٣ بوصة ـ ثقيل الوزن	٥,٩ بوصة ـ يميل للسمنة
لون العيون ـ الشعر	أزرق رمادى كثيف	بنى ـ أصلع
علامات مميزة	يده اليسرى ناقصة اصبعان (الابهام ـ السبابة)	على الجانب الأيمن لجبهته علامة كبيرة
أحداث هامة فى حياته	تم نفى جده عام ٣١ والقبض على خاله بتهمة التخريب عام ٣٥ والقبض على والده بتهمة العصيان عام ٣٧	خلال الحرب كان أسيرا للمعسكر الألمانى
التعليم	خريج كلية الهندسة ١٩٥٥	شهادة كلية الحقوق جامعة موسكو عام ١٩٥٥ وشهادة بكالوريوس زراعة (انتساب)
المنصب السابق	مدير مصنع	موظف بالحزب
عضوية الحزب	من ٦١ : ١٩٩٠	من ٥٢ : ١٩٩١
أى سياسة تأثر بها	صنع سياسته بنفسه	اتبع خطوات رؤسائه السابقين وآخرهم يورى أندروبوف ـ وأندريه جروميكو
سياسته	المواجهة	التآمر ـ المكائد ـ الهجوم ـ

		الحلول الوسط
التربية السياسية	من الجماهير	فى الكرملين
شخصيته السياسية	فطرى (يعتمد على احساسه)	منطقى
شخصية زوجته	مشبعة بالأمومة ـ مسالمة ـ ودودة ـ صبورة ـ تبدو وكأنها أمه	زعيمة ـ قوية ـ جافة ـ مسيطرة تبدو وكأنها أمه
أوقات الفراغ	يمارس كل الرياضات من التنس إلى الكرة الطائرة ـ يستغل أوقات فراغه فى عمل أى شىء	يقضيها فى السير فى الغابات ـ يميل للتأمل.
الصحة	يعانى من أمراض القلب	عفى البدن
الحوادث	٤ حوادث سيارة ـ انفجار طائرة	مجهولة
أسلوبه فى الحوار	الحوار المنطقى	المونولوج (السيطرة على الحديث) ـ المنطق ـ جمع الملاحظات والاستنتاج
خصائص سلوكه	الايجاز ـ الحدة ـ المقاطعة ـ المباشرة.. لكنه دائما ديمقراطى.. وأحيانا ساخر	دبلوماسى ـ ودود ـ مراوغ ـ كتوم ـ متعجرف ـ يتأنى فى تصريحاته
نظرته لنفسه	يتلذذ بتعذيب ذاته ـ يبذل كل جهده (سخى)	معجب بذاته يحب حياة الترف
موقفه من النقد	ينقد نفسه (حتى أغسطس ٩١)	يرفض النقد (حتى أغسطس ٩١ أيضا)
مميزاته الخاصة	عاطفى ـ جسور ـ ثورجى ـ مخاطر	محافظ ـ متردد ـ متواكل
الرتبة العسكرية	كولونيل.	كولونيل.

بعد الجدول كتب المؤلفان تحليلا وملاحظات فكتبا أنه :

«مبدئيا هناك نقاط مشتركة فى تاريخ حياة الزعيمين.. أولها أنهما فلاحان جاءا من قرية بعيدة ليحتلا كرسى السلطة فى موسكو.. لهما نفس العمر.. ينتميان لجيل كان الأبناء فيه ينسبان للأم فقط.. لكنهما عاشا فى أسرة من أب وأم وهى حالة نادرة وقتها.

كلاهما توفى والده فى الحرب.. وكلاهما الابن الوحيد فى عائلته

الذى تخرج فى الجامعة.. تزوجا بطريقة تقليدية.. ودخلا دائرة الضوء فى نفس الوقت تقريبا..

وكلاهما نزح من قريته الفقيرة إلى المدينة بحثا عن حياة أكثر تحضرا وفرصة عمل.. فانتقل يلتسين إلى مدينة **Sverdeovsk** وعمل فى واحد من أكبر المراكز الثقافية الصناعية الروسية بها.

أصبح كلاهما نائبا للحزب فى مدينته احتراما لتخصصهما.. فارتفع مستواهما الاقتصادى.. انتقلا إلى موسكو.. الكرملين.. وانتهى بهما المشوار زعيمين.. (جوربا) زعيم حزب.. ويلتسين زعيم معارضة.. بعدها احتلا مقعد الرئيس..

تأثرا بالأحداث الضخمة التى مرت بها روسيا.. مثل الحرب العالمية ـ التى أطلق عليها المؤلفان «الرعب الأعظم ــ عام ٣٧.. وفاة ستالين.. وبداية عصر الليبرالية (الأفكار التقدمية) فى عهد خروشوف..

وتشابه آخر عجيب.. أن كليهما عانى من الكبت الجنسى أيام الدراسة.. فلجأ يلتسين للرياضة وجورباتشوف للحزب.. وبالتالى أصبحا زوجين مخلصين لزوجة واحدة.. ولم يمارسا (الدون جوانية)..

والاثنان لهما بنتان وتمنيا ولدا.. ويعشقان العمل الجماهيرى ولكنهما مارساه بأسلوب غير ناضج.

وتشابه عجيب آخر.. أن كليهما الابن البكرى.. وكلاهما تعيش أمه فى القرية مع الأخ الأصغر!!

وعلى كل حال .. النقاط المشتركة فى حياتهما تؤثر فى تكوين الشخصية وفى أقدارهما.. والاثنان يقفان على طرفى نقيض حتى فى الجهد الذى بذلاه لتحقيق الانتصار.

وحدد المؤلفان تاريخ الميلاد السياسى ليلتسين بتاريخ القائه

خطابه الجماهيرى الشهير فى ربيع عام ٨٧.. والذى توجته الجماهير بعده بطلا.

وسوف يلاحظ القارىء أن هناك بعض المبالغات. وحشد التحليلات والمواقف التى تضفى شكل الأسطورة على شخصية يلتسين السياسى من جانب المؤلفين.. ولكنهما يؤكدان فى بداية كلامهما عكس ذلك.

وكتب المؤلفان : ان تاريخ حياة يلتسين لا يحتاج الى مبالغة أو تضخيم مواقف.. لأنه مشبع بالصدمات الدرامية على المستويين السياسى والشخصى. ولا يحتاج إلى خيال كاتب أو اختراع أحداث.

وقد وصف جورباتشوف شخصية غريمه السياسية.. بأنه «منغص للسلام».

أما القريبون من الرئيس فقالوا انه لا يصلح للعب مع فريق.. لأنه فى منتصف المباراة سيصطدم مع الكابتن فى مشاجرة.. فهو مندفع.. عنيف.. غير محنك سياسيا.. ومباشر لا يعرف المناورات.. لذلك دفعه الخبثاء من أعضاء الكرملين.. وشحنوه بانتقادات لجورباتشوف ليهاجم وحده برعونة.. ويتخلصون من الاثنين.

وظل الغرب لفترة طويلة ينظر ليلتسين على أنه «مهرج».. وأنه روسى متعصب وفاشى وجائع للسلطة.. وأقل بريقا من جورباتشوف.

واحد فقط كان يتنبأ ويثق أن يلتسين سوف يكون الرئيس القادم.. وهو نائب الرئيس الأمريكى «بوش» للأمن القومى.. رغم رهان أغلب الأمريكان على الحصان جورباتشوف.

وكسب يلتسين جولة بعد أخرى.. لأنه اعتمد على الأساليب الديمقراطية.. وعلى الحوار عكس جورباتشوف الذى اعتمد على السلطة والقاء الخطب والمناورات السياسية.

فى أقل من عامين .. احتل يلتسين مقعد سكرتير أول الحزب فى موسكو (من ديسمبر ٨٥ إلى نوفمبر ٨٧).. ورغم قصر هذه المدة.. إلا انه لمع وأثر فى تاريخ روسيا أكثر ممن سبقوه كلهم ولمدة قرون.. لماذا؟

لأنه دائما زعيم مختلف عن بقية الزعماء داخل الكرملين فهو اجتماعى.. استعراضى.. معارض ومشاغب عكس السابقين المتحفظين.. وفى بداية عمله فى الكرملين كان يستقل الأتوبيس والمترو لتزداد شعبيته.. ويفاجىء المصانع بالزيارات.. ويعطى انطباعا بالأمانة والاخلاص والتفانى فى العمل.. واقترب من الشعب لأنه يحترف القاء النكات الشعبية.. وعندما سألوه مرة عن جدول يومه.. قال: أعمل من ٦ صباحا حتى منتصف الليل.. أنام أربع ساعات.. ومن ٦:٨ أشحن بطارياتى.

وعندما سألوه فى مؤتمر شعبى للدعاية له.. من أين تشترى أحذيتك ـــ وكان المقصود فضح جورباتشوف الذى يستورد كل ملابسه ـــ .. خلع يلتسين حذاءه وألقاه على الجماهير قائلا.. افحصوه انه صناعة محلية.. لأننى أشجعها وهى الأرخص والأمتن.

وكان هذا نموذجا بشريا جديدا على موسكو.. مثيرا للجدل بمعارضته.. وهو عقلية عملية ليست من صنع حجرات الحزب المعبأة بالدخان.. ولكنها طراز شيكاغو.. وهى الشخصية التى منحته الشعبية فى شوارع موسكو.. الشعبية التى وصفها أعداؤه بأنها شعبية رخيصة لأنها تتاجر بآلام الفقراء.

وهى نفسها الشعبية التى شحنت بطاريات يلتسين.. فأدرك أن طموحه يجب أن يمتد خارج حدود العاصمة موسكو.. وأنها مجرد واحدة من القرى الكبيرة.

. ويلتسين مثل كل سكان القرى.. كان يحلم بالحياة فى موسكو لأنها العاصمة والمركز التجارى ويصلها ٢ مليون زائر يوميا من الولايات الأخرى شتاء ترتفع إلى ثلاثة ملايين صيفا.. يصلون بالقطارات ويعودون ليلا. للتسوق والفرجة.. وكانوا يحقدون على رغد العيش فى موسكو.. ويعاملهم أهلها باستعلاء.. وكان دخول موسكو يحتم وجود جواز سفر يتم ختمه فى الخروج والدخول.

ولكن عندما عاش يلتسين فى موسكو.. اكتشف أن أهلها يعيشون أسوأ من باقى البلاد.. وعلى حدودها يعيش مليون جائع تحولوا إلى لصوص.. وردد كثيرا أنه يفضل أن يكون ملكا فى ولايته الصغيرة على أن يكون امبراطورا فى أحد قصور موسكو.

وفى ربيع ٨٦ .. ألقى يلتسين خطابا فى مؤتمر جماهيرى.. نظمه خبراء الدعاية فى الحزب.. وكان مزيجا من الحوار والخطاب.. واعلان الثورة والتمرد والمبادىء الجديدة.. وأيضا نقطة الالتحام بالجماهير.

نقل المؤلفان أغلب نص حوار هذا المؤتمر فى هذا الفصل الطويل.. انقل منه هذا الجزء الخاص بوصف يلتسين لبذخ أباطرة الحزب وامتيازاتهم وقصورهم وفسادهم.. واعلانه الصريح لمشاكل العاصمة لأول مرة بعد طول تضليل وتعتيم رسمى.. وإن كانت نفس هذه المشاكل ظلت حتى اليوم التحدى الأكبر له.

وكانت هذه بداية الصدمات والتنفيس بعد طول كبت وخوف.. أول مرة يعلن رئيس روسى عن وجود «دمامل» ويسهب فى وصم آلامها.

أعلن يلتسين فى المؤتمر:

— ان عدد سكان موسكو ٨,٧ مليون.. منهم ٢,٥ مليون يحتاجون شققا سكنية.. مليون يعيشون فى مساكن شعبية تديرها

الحكومة.. ٢٨ ألفا يعيشون فى مساكن آيلة للسقوط يجب سرعة ازالتها.. وأن مدينة موسكو تحتل رقم ٣٣ فى الرعاية الصحية من بين المدن الروسية.

— وأن الكلمة هنا عن المساكن الحقيقية.. أى التى تحتوى على مطبخ لا تقل مساحته عن ٣,٥ متر مربع.. لأن النساء الروسيات البدينات اذا دخلن مطبخا أقل من هذا.. فالزوج لن يدخله ولن يأكل..

— الكنيسة التى تزوج فيها «باشكين» تحولت إلى مكتب تابع لوزارة الطاقة!! زرتها أمس ووافق الوزير على إزالة المكتب.

— النقل فى أسوأ حالاته.. خصوصا مترو الأنفاق.. وهنا قاطعه أحد الحاضرين صائحا.. كيف عرفت.. هل صحيح أنك تركبه؟ ولماذا لا نراك؟ أم أنك تصف ما تراه من شباك السيارة؟!

(أجاب يلتسين — أنا أركبه ولكننى لا أراك أيضا!!.. ربما نتيجة الزحام الشديد.. وربما لأننى انتقلت حديثا لموسكو ومازلت وجها غير مألوف لكم.. فلا يعرفنى الكثيرون.. ولكننى أركبه يوميا.. وأدخل المتاجر مرة أسبوعيا على الأقل.. ولكن للأسف بدأت الناس تتعرف علىّ وتعرف مواعيد زياراتى.. فبدأ الحال يتغير.. ويستعدون بنظافة المكان.. وتغيير اليونيفورم القذر فى هذا اليوم فقط!

— ولاحظت أن المحلات تظل مزدحمة طوال اليوم.. حتى منتصف الليل.. هذا معناه أن البضائع قليلة لا تكفى السكان الأصليين. وأنا أرفض العبارة التى يتبعها حاكم المدينة السابق وهى Go hunjry but look prelty أى أظهر جمالك واخفى جوعك».. أى منطق هذا؟!

— والأسعار مرتفعة جدا لبضائع أغلبها فاسدة.. وأرى أن

الحل هو انشاء جمعيات تعاونية.. حتى لو باعت بنفس الأسعار وضمان الجودة.. وأسألكم ما معنى المثالية والشيوعية التى ينادى بها الزعماء والبضائع أغلبها فاسدة وأسعارها مختلفة من محل لآخر.

ويهاجم يلتسين حكام المدن قائلا:

— المسئولون عن المدينة كانوا يصرحون بما يعمى عيون الجماهير.. عبارات كاذبة تقول عن أحسن دولة فى العالم.. ودعونا لا ننشر غسيلنا المتسخ.. وغيره.. والحقيقة أن حاكم المدينة هذا ليس سوى «شريط أحمر» وواقع الحياة مر.. وأبلغ دليل على مرارته هو تخفيض العمالة والعجز عن دفع الأجور للعمال.

— أقول لكم .. مستحيل أن يعمل حاكم واحد لـ ٦٤ ولاية.. الواقع أنه لن يجد وقتا لأكثر من التوقيع على الأوراق فقط.

كان عدد الأسئلة فى هذا المؤتمر ٣٨٠.. أعلن يلتسين أنه يعرف أن ٩٠٪ منها أعدها موظفو الحزب خبراء الدعاية.. وقال هذه آخر مرة أقبل هذا الأسلوب.

وكانت آخر أسئلتهم.. بعد ثلاث سنوات سنحاسبك على وعودك هذه.. فأجاب وأنا مستعد وسأظل أحارب طوال هذه السنوات.

ويتتبع المؤلفان زيارات يلتسين المفاجئة للتفتيش والوصول لجذور الفساد:

— فى احدى جولاته الأسبوعية للتفتيش على المحلات.. وجد فى حجرة المدير بضائع مغلفة بعناية.. سأل لمن هذه؟ أجابوه إنها طلبات خاصة.. فسأل وهل يستطيع أى مواطن أن يطلب حجز بضائع له.. لم يجب المدير.

واكتشف أن البضائع يتم حجزها مقدما لكبار المسئولين فى الدولة.. ويبدأ يزور مواقع التصنيع ويكتشف طرق الفساد

بصـعوبة أو بالصـدفـة ..

حتى كان فى زيارة أحـد المحلات الضخمة التى تبيع كل شىء.. فجاءت احدى البائعات تهمس فى أذنـه قائلة: هناك شىء مهم أريد أبلاغك به.. وكانت هذه هى اللحظة التى ينتظرها.. أعطاهـا موعدا فـورا..وبسببها عـرف خيـوط المافيا فى السـوق.. وتم القبض على ٨٠٠ موظف فاسد.

وحققت سياسته هذه النجاح.. وكسر حـاجز التقارير الرسمية الكاذبة التى برع فيها مـوظفو الحزب فى حجب الحقيقة عن عيون المسئولين.. واستمر فى الالتحام بـالجماهير فى المواصلات العامة فى ساعة الذروة.. ليكتشف الحقيقة بنفسه.

وبدأ الرفاق فى الكرملين الحرب ضده.. وهم الصفوة من أعضاء الحزب.. وسياسته هذه ضد مصالحهم وضد المزايا التى يتمتعون بها فى السر.. خصوصـا أنه أصبح عضـوا فى هذه الطبقة بـاعتباره رئيس الحزب فى موسكو.. والآن يعرف كل شىء.

وبدأت الحرب ضـده.. وأشاعـوا أنه يـرفض ركوب الليمـوزين الرسمية ليكسب شعبية رخيصة يجمعها من المواصلات العامة.

ويصف المؤلفـان بمرارة تفاصيـل البذخ والفساد الـذى جعلهم يهربون إلى أمـريكا.. ويطلبـون حق اللجوء السيـاسى منذ ثـلاثة عشر عاما .

يطلق عامة الشعب على ليموزين الحزب المصفحة لقب «النعش» أو «التابـوت».. ومن مميزاتها أن الاشارة أمامهـا خضراء على طول الطريق.. والمرور ممنوع إذا ظهرت.. يحييها الضباط.. وهى واحدة فقط من مخصصات أو امتيازات عضوية الحزب.

والمخصصـات تشمل مطـاعـم.. وعيـادات طبيـة خـاصـة.. و«خياطين» مخصوصين غير مسموح للشعب بالتعامل معهم.

وبدأ يلتسين نقدا صارخا لهذه الامتيازات.

ووصف يلتسين هؤلاء الرجال المهمين.. أو رجال الدولة الرسميين.. بمجموعة شيدت لنفسها مجتمعا شيوعيا مبهرا وبراقا.. مميزاته الرائعة تعم على ٢٥ شخصا فقط.. هم أعضاء المكتب السياسى.. بالإضافة الى سكرتير عام من رؤساء المدن والأحياء.

مجتمع الأقلية الشيوعى هذا.. كان يديره أحد فروع المخابرات المركزية الروسية التى تخصصت فى الاشراف على الامتيازات أو مخصصات الكبار.. ومنها توفير طرد الأغذية اليومى الذى يحتوى على أجود أنواع الطعام المستورد بنصف أسعاره الأصلية.. والخطط الخاصة للترفيه والنزهات فى كل أنحاء البلاد.. والخمور المستوردة.. ومقر الاقامة الفاخر.

كان هناك مقر إقامة بنى خصيصا لجورباتشوف.. ثم تركه يلتسين.. وعلق الروس ساخرين بأن السيد منح معطفه القديم لتابعه!

— وفى زيارته الأولى لمقره الجديد هذا استرجع يلتسين ذكريات قديمة.. عندما حياه قائد الحرس واصطحبه للداخل.. وقدم له المكان والموظفين.. وكانوا ثلاثة مديرين.. ثلاث مضيفات.. خادمات غرف.. مزيدا من الحراس.. جناينى يتبعه مجموعة عمال للحديقة بعدها جولة داخل المنزل.ونتجول مع المؤلفين فى قصر شيوعى:

— فى الدور الأول.. مدخل رخامى ضخم.. سجاجيد رائعة مدفأة وأثاث راق جدا.. وعدة حجرات فى كل منها تليفزيون ملون.. وتراس عملاق بنوافذ زجاجية.. صالة طعام كاملة منضدتها تسع لفريق كرة قدم كاملا.. وفى الخلف مطبخ فى حجم المطعم يتبعه «فريزر» بنفس الحجم أسفله.

غرفـة للسينما.. حمام سباحـة مغطى.. ومجموعـة حمامات لم يستطع يلتسين تذكر عددها لأنه اعتاد حياة التقشف.

ثم قـادوه إلى سلم رخـامى واسع يصل للـدور الثـانى.. حيث صالـة أخرى.. مـدفأة أخرى.. وبـاب «للبيت الأخضر».. صـالة.. حجرة .. مكتب .. حجرات نوم.. نجف كـريستال مودرن وكلاسيك ـ وبعض تحف ـ سجاجيد ثمينـة .. أرضيات بـاركيه من خشب البلوط.. حمامات أخرى، باختصار شـديد مقر هو أقرب إلى فنادق النبلاء الفاخرة منه إلى منزل عائلة واحدة.

وعائلـة يلتسين مثله.. لم تعتـد هذه الفخـامة.. لـذلك احتارت.. مـاذا تفعل.. وكيف تتصرف فى مثل هـذا المكـان.. فخـرجـوا منـه ورفضـوه.

كل هذه المقـار تقام بالقرب من العاصمـة.. وهى منتشرة بطول البلاد.. ومعزولة عن أعين العامة..

وهى ليست ملكيـة خـاصـة لسكـانها. انما هى مخصصـات الوظيفة. عنـدما يفقد «المنحوس» الوظيفة يفقـد معها المخصصات. وينحدر إلى واحد من عامـة المطحونين فورا.. وكان تعليق يلتسين.. تخيلـوا الصراع المخيف الـذى يجب أن يصـارعـه الانسـان ليصل للقمة ويتمتع بمزاياها.. ثم الصراع التالى ليحافظ عليها.

وهنـا كـان يلتسين استثنـاء من القـاعـدة.. رفض القصر والمخصصـات لأنه اعتبرهـا قيـودا على حـريته.. تحولـه الى تـابع مخلص لها..

وبذلك هو الحاكم السوفيتى الوحيد الذى صارع ليصل إلى قمة الجبل.. ثم أسرع بالهبوط للـوادى بإرادته الحرة.. ونجح فى تحقيق المستحيل.. وهو نزع قيود هذه العبودية الرائعة بيده هو.

وفى موسكو وحدهـا.. هناك أربعون ألف شخص تصلهم طرود

الطعـام الـخاص.. وعلى طول البـلاد كلهـا كـان العدد لا يصـدقـه انسـان.. وكان تعليق يلتسين أنه «خداع للشعب على أوسع نطاق».

وكـان هناك مـا يسمى بشئـون الدفـاع المدنى.. وهى مخابىء مـوجـودة تحت مبنى الكرملين.. وتحت مبنـى اللجنة المركـزيـة فى الميـدان القـديم.. مخابىء مكيفـة الهواء.. مسلحـة.. وأنفـاق تحت القصور الحيويـة مجهزة لإعاشة ١٧٠ شخصـا من أعضاء اللجنة المركـزية.. فى حـالة تعـرضـهم لهجوم أو «ورطـة» وأكثر من هـذا العـدد للكـرملين.. لـدرجـة أن مسـاحـة هـذه الأمـاكن ودرجـة استيعابها صعب احصاؤه!!

فمثلا كـانت هناك أنفـاق تصل إلى طائرات صغيرة (اليـوشن).. وطائرات جـامبو على استعـداد دائما.. وكانت تستخـدم «الجامبو» احيانا لفرد واحد مع حراسه الخمسة.

لم يختر يلتسين شعـار «المسـاواة» كأرخـص وسيلـة دعـايـة لنفسه.. لكن كما قال فى أحـد خطبه.. مادامت حياتنا شـديدة الفقر والبؤس. كيف استطيع تذوق الكـافيار.. أو الاسترخاء فى الليموزين وتجاهل الضـــوء الأحمر الـــذى يحجب الشعب عن طـــريقى.. أو الاستمتاع بـالخمور المستـوردة النقية وأنا أعلـم أن جارى لا يملك ثمن الاسبرين لابنه المريض.. ببساطة أنا أخجل جدا من ذلك.

وهـذا الشعـور بالخجل هـو الـذى ميـزه عن رفاقـه أعضـاء الكرملين.. الذى كان كل مـا يدور فى فلكهم يحمل كلمة «خاص».. المصحـات.. الفنادق.. المدارس.. المطـاعم.. الحضـانات المشمسـة للأطفاء..

ومصانع تجهيز الأثاث!!

ولهذا لا ننـدهـش أن يلتسين اكتسب شعبيـة من فضـح هـذه الطبقة ومطـاردتها وتحديها.. واضطروا لقبـول هذا التحـدى الذى

وضعهم تحت الميكروسكوب.. لكن المعركة كانت شرسة بينهم وبين هذا الشخص البدائى الذى حشر نفسه فى حزب العظماء.. مثيرا للدهشة والفرجة بعاداته وتربيته وهواياته ومبادئه التى تشبه أبطال الأساطير الخرافية.

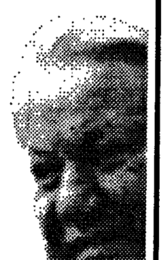
هل أدرك يلتسين إلى أين كانت تقوده الأحداث.. أم كان يأمل فى أن مرحلة التطهير والمصارحة كفيلة بحمايته وفتح النيران على السكرتير العام وقتها ـ جورباتشوف ـ .. لكن المؤكد أن جورباتشوف كان على علم بكل خطوات يلتسين.. الذى اتخذ صورة المدافع عن حقوق الشعب ومحامى الشعب البطل.. ولايهم هنا مدى الصدق والكذب فى كلامه وشعاراته.. المهم أن شعبيته بدأت.. وتحول جورباتشوف إلى بطل النكت الساخرة.



٤ المواجهة بين يلتسين وجورباتشوف

● قالوا « نكتة » في هذا الكتاب .. هي أن روسيا تقلب عليها ثمانية زعماء .. الأول أصلع .. والثاني له شعر .. والثالث أصلع والرابع مشعر .. وهكذا بالتناوب ..

● وهنا تفاصيل معركة القط والفار، وخطة سقوط زعيم وانتصار الآخر .. في حلبة « ملاكمة » للفوز بالرئاسة ..



٤

المواجهة بين يلتسين وجورباتشوف

كتب المؤلفان :

كان من الممكن لجورباتشوف أن ينفى يلتسين أو يعتقله.. أو يعطيه أحد المناصب الدبلوماسية.. لكنه تركه فى موسكو لينفذ سياسة الاصلاح والتطهير لمبادىء الشيوعية.. وهى مهمة مستحيلة .

لكن يلتسين انتهز الفرصة.. وتحول فى نظر الشعب من خصم مهاجم لجورباتشوف إلى بطل شعبى.. يدعمه الشعب والصحافة ويحارب الحزب وأعضاء الكرملين بشراسة .

وتم رفت محرر جريدة «البرافدا» الذى كان يساند يلتسين

بنشر سلسلة من المقالات حول الجريمة المنظمة فى روسيا.. استدعاه مساعد جورباتشوف وقال له ان يلتسين اليوم موجود وغدا راحل.. لن يدوم لأنه مرحلة.. وعليك الاختيار إذا أردت الاستمرار فى العمل معنا.. هذه رواية يلتسين نفسه الذى كان تعليقه عليها .. كنت أعرف أنهم يحفرون قبرى .

وفى سبتمبر ٨٧ كانت الحرب قد وصلت ذروتها ضد يلتسين. فأرسل استقالة رسمية إلى جورباتشوف يعتذر فيها عن عدم الاستمرار فى عمله كسكرتير أول للحزب الحاكم فى موسكو.. وعضو فى البرلمان.. وفى المكتب السياسى واللجنة المركزية.. «لأنى عاجز عن تغيير أسلوبى المباشر فى عرض وجهة نظرى ومطاردة الفساد.. وأيضا لإدراكى أن حل المشاكل مسألة صعبة.. واستمرارى فى محاربتها بدون حل يوقعنى فى المزيد من المشاكل مع المكتب السياسى.. وهذا ما أتمنى تجنبه ».

وأمضى ليالى طويلة بدون نوم فى انتظار الرد الذى أرسله مع مساعده ـ وليس بالبريد ـ إلى البيت الريفى لجورباتشوف الذى كان فى إجازة .

وأخيرا اتصل جورباتشوف .. واقترح أن يلتقيا لمناقشة خطاب الاستقالة.. وقال له سأحدد لك موعدا.. ولكن الأسابيع مرت والدعوة لم تصل .

وجاءت دعوة للاحتفال بالعيد السبعين للثورة .. جاء دور يلتسين فى إلقاء خطاب.. فألقى عدة ملاحظات نقدية.. وفجأة اختفى جورباتشوف .. تسلل لمدة نصف ساعة خارج القاعة.. فتجمد أعضاء الحزب عاجزين عن التصرف.. وبدلا من الرد على انتقادات يلتسين.. فاجأهم جورباتشوف بوابل من السباب والإهانة بأسلوب هيستيرى ضد يلتسين.

هاجم كل سلوكه الحزبى والشخصى رغم ادعاءاته أنه يتحدث باسم الشعب الروسى.. فصمت الحاضرون.. المعركة الآن بين الرجلين ولا أحد يريد الانضمام لأى منهما .

ووقف يلتسين معترضا متجاهلا استطراد جورباتشوف.. صارخا فيه أنه يرفض هذا الاسلوب الهمجى فى النقد .

بعد هذه المواجهة تجاهل جورباتشوف يلتسين رغم اضطراره للقائه مرتين أسبوعيا على الأقل لحكم العمل.. لم يتصافحا باليد.. ولا بالكلام.. وخرج يلتسين من دائرة جورباتشوف.. وأصبح مصيره معروفا وأيامه فى الكرملين معدودة .

وجاء صباح ٢١أكتوبر .. ماحدث فى الأربع دقائق التى تكلم فيها يلتسين غير مسار التاريخ له ولروسيا بدون إطلاق رصاصة واحدة .

قال خطابا مرتجلا كلاما وتخطيطا نابعا من قلب ثائر فاض به الكيل.. وليس من عقل سياسى مناور. ونجح.. ونجا مما توقعه المتابعون للموقف داخل وخارج موسكو.. وهو تعليق المشانق مثلما حدث فى نهاية الثلاثينات وكان تعليق المراقبين. أن يلتسين لم يدفعه أحد لهذا الهجوم الانتحارى إلا اليأس.

بعد هذه المواجهة الثانية دخل يلتسين المستشفى.. وفيه تلقى مكالمة تليفونية من جورباتشوف تعرض عليه إما أن يستقيل.. وإما أن يقبل وظيفة سفير فى افريقيا.. فوافق يلتسين فورا.. وفى نهاية المحادثة قال له جورباتشوف « لن أتركك تعود للسياسة أبدا » .

لم يكن ما حدث مفاجأة.. وكان من الصعب عودته للمكتب السياسى مرة أخرى.. كما قال جروميكو ثعلب الكرملين القديم مرة.. «مكتبنا السياسى مثل مثلث برمودا.. من يخرج منه يختفى».

وهكذا فى عمر ٥٦ عاما.. فقد يلتسين وظيفته فى الحزب.. وبدأ يمتهن السياسة.

انتصر الكرملين فى الجولة الأولى على المعارض العنيد «يلتسين».. وطردوه بعد خطابه الشهير فى نوفمبر ٨٧ الذى فضح فيه تجاوزاتهم وفسادهم.. واعتبره جورباتشوف قد مات سياسيا وأودع قبر السياسة.

وسن جورباتشوف سكاكينه.. وكثف كل جهوده الشرعية وغير الشرعية لمنعه من العودة للسياسة..

لكن يلتسين «عاد» بقوة الجماهير.. ونجاحه أثبت أن قواعد اللعبة تغيرت.. لأنه بإعلان شعار «إعادة البناء» فتح جورباتشوف القفص كله.. وأطلق مخزون الرأى والمعارضة لدى المواطنين.. واضطر لمساندة الحرية التى شكلت ضغطا عليه هو شخصيا..

وبعد عامين من إطلاق صيحة الإصلاح.. كانت عجلات هذا الإصلاح تحفر فى كل شىء.. الاقتصاد والسياسة.. والحقيقة أن هدف جورباتشوف وفريقه كان استعادة قوتهم.. وليس تشكيل هياكل جديدة لإصلاح المسار الاشتراكى بالفعل .. لذلك لم يتحقق شىء للشعب..

وأعلن يلتسين الانتقام لوجهة نظره ومبادئه.. ومفهومه الشخصى للشيوعية وسلطة الحزب .. وفى المستقبل الاشتراكى المضىء.. وكان عمره قد وصل ٥٧عاما.. وهى محاولة انتحارية فى هذا العمر لكنه استلهم قوتها من ماضيه الشخصى.. ومعاناته.. ومشاعر الألم والحلم بالخلاص والعدل التى لازمته منذ طفولته ..

أصبح متأكدا مما يريده.. ذهنه صاف.. أهدافه محددة.. واتجه مباشرة للسياسة. دخل المعركة ببرنامج جديد يعتمد على قوة

الجماهير.. وهو استبدال النظام الشيوعى المتطرف.. بالديمقراطية الخضراء .

وبينما كان برنامج جورباتشوف هو تحقيق نموذج المدنية المثالية وإجراء تعديلات فى النظام.. أعد يلتسين ثورة تحفر فى الأعماق.. وأشعل فتيلها فى خطابه فى المؤتمر التاسع عشر للحزب.. وذلك فى صيف ٨٨..

وبدأت المعركة ضد النظام

كانت أهداف يلتسين هى :

- بدء تجميع أصوات انتخابية لترشيح نفسه سكرتيرا عاما ..
- تقليص عدد شاغلى المناصب العليا فى كل المكاتب.. بتحديد سن ٥٦ للمعاش.. دون أى استثناء ..
- إزالة ستار الكتمان والسرية عن حياة رجال الدولة.. والسماح بنقد الحزب من الداخل ومن الخارج.. والأخذ بنظام تعدد الآراء.. ومناقشة موضوعات مثل ميزانية الحزب.. وعصاباته.. والشللية داخله ..
- إلغاء امتيازات معينة.. تشمل حصة الطعام الخاص بأصحاب السلطة .

وفى خطاب اكتوبر.. ظهر يلتسين كما لو كان مصابا بالماسوشية (التلذذ بتعذيب النفس).. حيث كان يخبط رأسه فى الحائط القوى للحكم المطلق للحزب.. ليجد نفسه الثورجى الوحيد أمام خمسة آلاف من النواب من نوعية المتفرجين ..

ومرة أخرى أيضا تنتهى الثورة بانقلاب عنيف ضده.. هؤلاء الذين أهينوا مصممون على تحطيمه هو ومبادئه.. ولكن هذه المرة رغم أن يلتسين تصور أنه ألقى كل ما عنده وخسر كل شىء.. فإنها كانت بداية انتصاره فجأة عندما هجم عليه الحزب

لتحطيمه.. انتبه إليه الشعب.. واكتشفوا أنه بطلهم المنتظر.. وأن سنوات التوهان فى صحراء السياسة قد انتهت ..

لماذا كان الشعب الروسى فى أشد الحاجة إلى زعامة يلتسين ؟

خلال الـ١٨شهرا التى تم عزل يلتسين فيها.. دخلت الأمة منطقة الأزمات الشديدة.. أزمة ثقة فى الزعماء.. فى الحزب.. وفى (البرسترويكا) نفسها..

وكان جورباتشوف قد استسلم للسياسة التى تسانده.. المعتمدة على البيروقراطية والقمع.. والشعارات الخاوية التى فاض الكيل بالشعب منها كلها.. والجماهير كانت فى حيرة واضطراب.. فاقدة الأمل فى الإصلاح.. وفى جدية الوعود الاقتصادية..

والأهم من هذا كله.. أنهم كانوا بلا زعيم.. وكما وصفتهم صحيفة «الجازيت» تحت عنوان «ثورة الجماهير» .

«فى الأوضاع المستقرة لأى أمة.. فإن الجماهير تكون خاملة.. هدفها أن تكون متأثرة وتابعة لشخص.. شخص يحتاج للزعامة.. يعبر عنهم وينظمهم.. وهذا انطبق على يلتسين .. الذى كان فى هذا الوقت يعانى من العزلة السياسية.. ويبحث عن مساندة.. ويخوض الثورات والمعارك بدلا منهم.. ولأنهما (الجماهير ويلتسين) لهما نفس الماضى الذى طحنتهم فيه أسنان الحزب.. ونفس العدو الذى اغتصب القوة لنفسه.. لذلك كان اختياره فوريا وحاسما» .

الآن المطلوب هو التخطيط للمعركة.. معركة من الحزب البيروقراطى للمشاركة فى الحكم.. وأصبح شعار نهاية الثمانينات هو «أيها الحزب.. اسمع.. نحن نريد المشاركة فى الحكم».

هكذا بدأ التحام الجماهير بـ«يلتسين» وقصة حبهما التى انتهت بانتصاره ..

وطبعا كان رد الفعل سلبيا هداما وضد كل شىء.. الحزب ـ

جورباتشوف والكرملين.. ثورة ورفض لكل شىء..

الصدام بين الزعيمين كان عنيفا لأن يلتسين كان لايزال فى نظر جورباتشوف «فارس حصانه».. التابع له المنفذ لسياسته واتجاهاته.. الذى يمكن طرده من الحزب إذا خرج عن طوعه.. وكان جورباتشوف «أعمى».. لم ير قوة يلتسين خارج دائرته هو والحزب والكرملين .

لم ير حقيقة يلتسين إلا بعد فوزه بـ٨٩٪ من أصوات الناخبين من الشعب .. أدرك وقتها أنه مستند إلى جبهة شعبية قوية.. وبسرعة غيرت أجهزة الدعاية الرسمية وصفها ليلتسين من «الرجل الشعبى» - ويقصدون «الغلبان» » - إلى «الجائع للسلطة» ..

وظهر صراع بين الزعيمين على السلطة .. واحد يريدها لنفسه .. والآخر يريد تسليمها للشعب «يلتسين» ..



٥

مستر « يلتسين » يذهب إلى أمريكا

● الفرق بين زيارة يلتسين «لأمريكا» قبل السلطة وبعدها .. ودروس تعليم الديمقراطية .. وامتحان القدرات الأمريكي للزعيم الروسي الجديد ..

● أسرار إذاعة جلسات البرلمان الروسي على الهواء .. ومفاتيح التشغيل التي كان يتحكم بها جورباتشوف على الهواء ..





٥

مستر «يلتسين» يذهب إلى أمريكا

عاد يلتسين للسلطة بعد نجاحه فى انتخابات البرلمان..أصبح واحدا ضمن ٢٢٥٠ نائبا آخر.. ولكن هذا المنصب أقل كثيرا من طموحات يلتسين.. إنه يسعى من خلاله للجنة المركزية السوفيتية التى تضم أحد عشر عضوا فقط..

اجتمع نواب مجلس الشعب كلهم.. لانتخاب أعضاء اللجنة المركزية منهم ثم العودة لبلادهم.

وسقط يلتسين لأنه دخل ضمن قائمة روسيا الفيدرالية.. وكان المطلوب انتخاب ١٢ عضوا مقابل أحد عشر مقعدا.. ويظل الثانى عشر احتياطيا.. وكان يلتسين هو الاحتياطى.. وسط مجموعة من

صفوة العلماء فى مختلف المجالات.

ووجد نفسه مطرودا من مجموعة الصفوة.. وكأنه مطرود من الجنة.. أو من العمل السياسى كله. وضاع الجهد والوقت الذى أنفقهما فى الدعاية.. ولكن فشله هذا أثار مناقشات فضحت فساد البرلمان نفسه..

فأولا : ظهر ان نظام الانتخاب للجنة العليا كان موضوعا بذكاء بحيث يمنع دخول أعضاء المجلس المنتخبين.. لأنهم نجحوا فى أن يصبحوا نوابا بالأكاذيب والمؤامرات.

وثانيا : ان ثلث الأعضاء يتم تعيينهم.. والثلث الثانى يتم انتخابه بالرشاوى وابتزاز الناخبين وأحيانا بالتزوير.

وظهر يلتسين عصبيا نافد الصبر.. وكما كتب بنفسه «يريد إفساح الطريق لنفسه ليخرج من الركن إلى المكان اللائق به فى الصدارة».

وجاءت المفاجأة الموجودة دائما فى تاريخ روسيا.. حيث يظهر شخص يغير دفة الأحداث فى اللحظة اليائسة الأخيرة.

وظهر أستاذ بجامعة Omsk يعرض على يلتسين مقعده فى اللجنة العليا.. مضحيا بهذا المنصب الغالى.. وقبل يلتسين هذا العرض فورا.. وهو مدرك انها ليست تضحية أكثر منها عجز من هذا العضو عن مواجهة الضغط العنيف عليه من الشعب.. ورفض بقية أعضاء اللجنة له.. لأنه رجل شريف.. ولكن هذا الرفض والضغط يناسبان شخصية يلتسين تماما.. لأنه يعشق المعارك ويجيدها.

ودخل يلتسين باب اللجنة العليا.. أو السياسة السوفيتية.. وظهر الارتياح الشديد على وجهه لأنه نجح فى اغتصاب حقه وفى شق طريقه.

ولكنه أصبح محاصرا بين مخالب أتباع جورباتشوف أعضاء البرلمان.. وأعضاء اللجنة العليا عبيده المطيعين المخلصين.

وكانت مهمة «آلهة الكرملين» الجدد هى وضع أسس برلمان ديمقراطى جديد.. هدفه الاصلاح وإعادةالبناء.. ولكن هذا وهم وخداع جديد للشعب.. لأنهم نفس الأشخاص القدامى.. بنفس الأفكار ونفس المصالح.. يقولون عبارات جديدة عن الإصلاح.. لكن بدون بذل أى جهد للتنفيذ..

هذا المجلس مثل «الهايد بارك» الذى يسمح بحرية الكلام ولكن لا يملك أصحاب الأفكار سلطة تنفيذها.. انه كلام «للفضفضة» باعتبارها أهم مظاهر الديمقراطية فقط.

وأصبح المجلس الأعلى هذا فرعا من فروع السيرك الروسى بوجود جورباتشوف مدرب الحيوانات البارع.

امتلأت حقيبة يلتسين وحياته بأوراق كلها شكاوى وتساؤلات.. يطرحها ولا تجد أى صدى أو رغبة فى الحلول.

الشىء الهام الذى نجح فيه.. هو الحصول على موافقة لعرض جلسات مجلس النواب فى التليفزيون على الهواء مباشرة.. وبعدها جلسات اللجنة العليا.. وبعد عشرة أيام من الإذاعة.. أصبحت روسيا كلها مشدودة للتليفزيون.. تتابع المعارك الساخنة للأعضاء سياسيا.

هذه الأيام العشرة منحت الشعب ثقافة سياسية.. فاقت تأثير ملايين الخطب التى سمعوها طوال سبعين عاما من ماركس ولينين.

واستيقظ الشعب من الغفوة أو البيات الشتوى وأعطى التليفزيون ميلادا لأبطال جدد.. كانت مهمتهم القضاء على يلتسين جماهيريا.. لكنه ـ كما قال هو ـ كان قادرا فى ساعة واحدة على كسب التأييد الشعبى لملايين.

ويؤكد الكاتبان.. ان الديمقراطية الحقيقية لم تمارس أبدا.. إنما كانت مجرد فضفضة بالأحزان من جانب النواب فقط!

ولأن جورباتشوف كان يتحكم جيدا فى الديمقراطية التى منحها.. فكان من الطبيعى أن يكون هو المسئول عن الإعلام أيضا.. وعلى رقابة التليفزيون.. وهذا يمنحه حق إغلاق الكاميرات فى أى لحظة وحذف ما يريد من المناقشات فورا على الهواء.

فما الذى كان يخاف أن يعرفه الشعب؟!

سلوك جورباتشوف أقنع النواب الباحثين عن الديمقراطية الحقيقية.. أن جورباتشوف يحارب الديمقراطية ويمنعها.. وبدأت تتكون جبهة معارضة.. ظهرت بوضوح عام ٨٩.. بدأت بخمسة أعضاء منهم يلتسين.. انضم اليهم ٢٦٥ عضوا من البرلمان.. ارتفعوا إلى ٣٦٢ فى سبتمبر.. وكانوا جبهة معارضة منظمة داخل الكرملين.

وكلمة «معارضة» كانت مرفوضة.. يتجنبها الجميع باعتبارها من المحرمات.. لكن أصبح لهم مقر للاجتماع.. وجريدة ومطبعة.. فبدأوا «يغوصون فى الطين» ويعرضون المشاكل بجرأة أثناء انعقاد المجلس وإذاعة الجلسات على الهواء.. مما دفع جورباتشوف إلى إغلاق الكاميرات نهائيا.

لكنه كان تأخر جدا.. لأن المعارضة تشكلت ـ ولأول مرة منذ أيام ستالين ـ .. وشعبيته تضاءلت وانتخب المعارضون يلتسين رئيسا لهم.. وأصبحت المعارضة حقيقة رغم تجاهل الكرملين وإنكاره.

ونجح يلتسين فى انتشال نفسه من بئر البيروقراطية.. وأصبح ما يحتاجه الآن هو الشهرة العالمية كرئيس معارض.. مثل الشهرة التى يتمتع بها جورباتشوف فى الغرب.

وبدأ اللعب بكارت كسب تأييد الدول الأجنبية.

وبدأت رحلات يلتسين للغرب.. ليعرفوه وتتكلم عنه الصحافة العالمية. ولكن لقلة خبرته أغلب ما كتب كان ضده.. يصوره على أنه دب روسى مخمور.

وكانت أولى رحلاته الخارجية إلى ألمانيا.. فى رحلة عمل بصفته الرسمية كرئيس للمعارضة وكانت دعوة من اتحاد العلماء والاقتصاديين الروسى الألمانى.. لحضور مائدة مستديرة لمناقشة مشاكل العلاقات بين البلدين.

لكن الزيارة التى ظل يلتسين يحلم بها ويتمناها ويحارب لتحقيقها.. هى زيارة أمريكا..

وبدأ الحلم أيام انعقاد المؤتمر التاسع عشر للحزب فى سبتمبر ٨٨.. عندما هاجموه وطردوه.. كان يريد استعارة البرنامج الأمريكى فى ممارسة الديمقراطية.. باعتباره نظاما مستقرا وناجحا منذ مائتى عام.. عاجزا عن انتظار الزمن الذى تستغرقه روسيا لإفراز النظام الديمقراطى المناسب لها من خلال التجربة.. وأيضا لإعجابه بالنظام الأمريكى.. ورغبته فى اقتباس القانون الذى يحدد فترة رئاسة رئيس الجمهورية بمدة أربع سنوات فقط يعاد بعدها انتخابه.. وأيضا تقسيم السلطات التشريعية بين مجلسين يماثلان مجلس النواب ومجلس الشيوخ كما يحدث فى أمريكا بشكل مباشر.

وتحقق الحلم بعد عام من المحاولات.. كانت نقطة الضعف الوحيدة التى تسبب له الخجل هى ضعف لغته الانجليزية.

قام بتخطيط الرحلة «جينادى الفرينكو» المنسق الروسى للعلاقات الشرقية ـ الغربية.. وصاحبه فى الرحلة بعد أن وجد من

يمولها وينظمها.. فى وقت كانت كل الدوائر الحكومية والشعبية الأمريكية فى صف جورباتشوف.. وضد زعيم المعارضة الروسى الجديد.. المجهول بالنسبة لهم.

الدعوة والتمويل جاءا من جيمس هاريسون مدير معهد Esalen.. الذى كان يستقبل عشرين مواطنا سوفيتيا شهريا.. ووافق على دعوة يلتسين ورفاقه باعتبارهم مواطنين عاديين يحصلون على منحة.. وبصراحة كان هو المعهد الوحيد الذى وافق على تحمل مسئولية دعوة يلتسين.. لأن الآخرين كلهم كانوا يخشون غضب جورباتشوف صديقهم.

وبذل المنظمون كل وسعهم لتأكيد أن الدعوة سياحية لمواطن عادى.. وشمل برنامج الرحلة القاء يلتسين لمحاضرات فى العديد من الجامعات.. وكان معه مساعده فى اللجنة المركزية.. وصحفى اقتصادى فى جريدة البرافدا.

وأخبرنا مدير معهد أمريكا ـ كندا للدراسات أنه أرسل ليلتسين بعض المحاضرات والأبحاث فى أسلوب الاتيكيت السياسى.. ليستعد للقاء الشعب الأمريكى.. قبل بداية الرحلة.

ولكنه وقع فى كثير من الأخطاء بسبب جهله بأصول البروتوكول السياسى.. بساطته الشديدة.. حيث تمادى فى التبسط متصورا أنها الديمقراطية.. فكان يطلب منهم أن ينادوه باسم Boris.. وهذا سلوك يعجب الشعب الأمريكى.. ولا يعجب السلطة.

واعتبروه ساذجا سياسيا.. ووصفوه بأنه طفل جاء يلعب فى الغابة.. ويتعلم فى مدرسة الديمقراطية.. عكس جورباتشوف الخبير بالأصول.

لكنه اعتبر نفسه محاميا مخلصا للديمقراطية.. وهذا سوف

تقدره أمريكا جيدا.. وهذا ما حدث فى نهاية الرحلة فعلا.. فى تسعة أيام كسب اعجاب الجماهير بمختلف نوعياتها.. ورئيس الجمهورية.

فى تسعة أيام زار احدى عشرة مدينة أمريكية مع مرافقيه ومترجمين نظما له العديد من اللقاءات لإعطاء صورة عن نفسه وعن بلده.. وفى كل خطبة كان يركز على أنه زعيم المعارضة.. ويشرح سياسته وخلافه مع جورباتشوف.. ويؤكد أن الاتحاد السوفيتى على شفا كارثة.. وأن ٤٨ مليون مواطن يعيشون تحت خط الفقر.. وأن الشيوعية من وجهة نظره «حلم فى الهواء».. وأنه خلال عام على الأكثر ستحدث ثورة شعبية.. ويطالب بمساعدة أمريكا لإنقاذ روسيا..

ودبر له جيمس هاريسون لقاء مع كبار الشخصيات العامة وخبراء الشئون الخارجية.. وعلماء واقتصاديين.. وكان انطباعهم «أنه موهوب سياسيا».. وقال أحدهم.. أنه الشخص المناسب لتغيير تاريخ روسيا كله.. اذا وضعناه على أول طريق الديمقراطية».

ويؤكد المؤلفان هذه الملحوظة أكثر من مرة فى الكتاب:

— حاول يلتسين بكل الطرق والالحاح مقابلة الرئيس الأمريكى جورج بوش.. وأعلن للصحافة أنه يحمل اقتراحات للرئيس الأمريكى لانقاذ روسيا.. ولكن هيهات.. لأن المسئولين فى الإدارة الأمريكية كانوا لم يتخذوا قرارهم بعد بعقد هذا اللقاء مع زعيم المعارضة.. ظلوا يماطلونه يوما بعد آخر حتى أعلن فى مؤتمر صحفى أن لديه أسرارا يريد البوح بها لبوش.

وعلم يلتسين أن بوش يمارس رياضة التنس.. فقال للصحفيين وهو يلقى محاضرة فى جامعة كولومبيا.. أنا مستعد للقائه على ماتش تنس.

وانطبعت صورتــه لدى الأمريكـان بأنه فـلاح روسى من جبال الأورال.. عنيد.. مباشر.. ينطح ولا يستسلم الا اذا نال ما أراد.

ولاعبته الادارة الأمـريكية. عنـدما أرسلوا لـه عربـة ليموزين فى اليوم الرابع للزيارة لتصحبـه إلى واشنطن.. فتصور أنه ذاهب للقاء بـوش.. لكنه فـوجىء بالمسئـولين يطلبون منـه الصعود للطـابق الأعلى بدلا من دخول الحجرة البيضاوية.

رفض ولم يوافق الا بعدما أقنعـوه أن الرئيس سيقابله فى الدور العلـوى.. فى حجرة نـائبه. وهنـاك قابلـه الرئيس لمدة عشر دقـائق فقط.. ممنوع فيها التصوير. وكتـب محرر النيويورك تايمز يصف إحبـاط يلتسين الذى أمضى بـاقى الساعـة المسموح لـه بها مع مستشار الأمن القومى.

ومع ذلك.. اعتبر يلتسين أنه حقق انتصــارا. وأنه انتـزع اعترافا بأنه زعيم المعارضة الـروسى وهى الخطوة الأولى التى كان يسعى اليها.

وفضحته الصحافة الأمريكية.. كتبت عن تفاصيل زيارته.. وأنه ظل يسكر فى الليلة الثالثة له.. واحتســى زجاجة خمر كاملة فى بار الفندق.. ماركـة «جاك دانهل».. وبسببها عجز عـن اتمام موعده فى الثالثـة من ظهر اليوم التالى مع الإذاعـة بدعوى أنه مـرهق.. ولكنه كان سكران.. مثل كل ليلة.

وفى نهاية الـزيارة وقع عقـدا مع «جيمس هاريســون» فى مطار ميـامى.. بأنــه يستحق ١٠٠٠٠٠دولار (مــائة ألف دولار) عن المحاضرات التى ألقـاها فى عدة جامعات.. وســوف تصله فى شكل طرود «سرنجـات» للحقن تصرف مجانا لمرضى الايـدز فى روسيا.. وأن أمـريكـا سوف تتكفل بمصــاريف نقل الطـرود وتسليمهـا فى موسكو.

وعندما عاد الى موسكو.. وفى ١٨ سبتمبر يوم اجتماع اللجنة المركزية.. نشرت جريدة برافدا نقلا عن جريدة ايطالية فضائحه فى أمريكا.. وكتبت أنه ظل يركض ويستجدى ويسكر فى ممرات السلطة الأمريكية.. وأنه حقق كل أحلامه.. حصل على الخمر.. والدولارات.. والجنس.. وشرائط فيديو «رامبو» للتشبه بها.. وأنه احتسى ٤ زجاجات «جاك دانهل»، بالاضافة الى عدد لا نهائى من خمر حفلات الاستقبال التى أقيمت على شرف استقباله.

أما الصحافة الروسية.. فكتبت أنهم لم يعطوه ثمن «الحقن» نقدا لأنه كان سيصرفها فى أمريكا ويعود إلى روسيا مديونا.

ثم اعتذرت الصحيفة.. وكتبت انها أكاذيب بنيت على شائعات أطلقها من حوله.. وضخمتها الصحافة الأمريكية الصفراء المشهورة بسلاطة اللسان.. وتم حرق مئات النسخ من الجريدة فى ميدان «باشكين».

أما تعليق يلتسين على كل ذلك.. فكان كلمة واحدة. "Garbage" ومعناها «زبالة».

وأعلنت الجريدة انه لم يصرف فى أمريكا سوى ٢٤ دولارا اشترى بها هدايا لأحفاده.

بعدها بأسبوع وصلت «السرنجات».. وصور التليفزيون يلتسين وهو يتسلمها فى المطار من المندوب الأمريكى.. ويسلمها لوزير الصحة الروسى.

وعرض التليفزيون الأمريكى المشهد مع فيلم قصير عن زيارة يلتسين.. شمل محاضراته فى جامعة «جون هوبكنز» التى ألقاها أمام الطلبة والأساتذة.. وظهر سكران يترنح.. بنظرات تائهة وعبارات غير مترابطة.

ولكن ظهر فيما بعد أن يلتسين كان مظلوما فى هذه الواقعة..

وأن الشريط تم العبث به ليظهر يلتسين بصورة المدمن.. وذلك بشهادة المرافقين له فى الرحلة والمترجمين وجيمس هاريسون نفسه.. الذى لم يتركه.. واستطاع الحصول على نسخة الشريط الأصلى من الجامعة كدليل نفى.. وظهر أن يلتسين تعثر فيه بضع مرات بسبب اللغة فقط.

هذه الشائعات عرضته للمساءلة داخل الحزب.. ولكنه صمت.. وامتنع عن الظهور أو الادلاء بأى حديث.. أو حضور اجتماع اللجنة المركزية.. وبعدها مباشرة تعرض لمحاولة اغتيال بحادث سيارة واختفى اسبوعين.

بعدها ظهر أخيرا.. وأعلن للصحافة أنه أصيب بنزلة برد فى أمريكا.. وكان مريضا.. ولكن الشائعات تلاحقه وتقتله مرة بحادثة سيارة. ومرة بأنه انتحر.. ومرة بأنه تعرض لأزمتين قلبيتين.. ولكن «هاأنا أمامكم و سأحضر اجتماع اللجنة المركزية فى ١٦ اكتوبر».

وأذيعت الجلسة على الهواء فى التليفزيون .. وأخيرا رأى المشاهدون يلتسين فى المقدمة كما كان..

وفجأة ظهر جورباتشوف يقاطع الجلسة.. ويطالب وزير الداخلية بالصعود للمنصة وسط دهشة ملايين المشاهدين وأعضاء اللجنة.. وطلب منه تفسيرا لغياب يلتسين.. وأجابة على شائعة محاولة اغتياله.

واستمر الجدل ساعة على الهواء.. وكانت أول سابقة من نوعها فى روسيا.. أن تناقش تفاصيل الشائعة ـ كما قال يلتسين لنا ـ وتفاصيل الحياة الشخصية لأحد النواب علنا على الهواء.

وأعيدت اذاعة هذه الجلسة مرتين.. ولكن لم يصلوا إلى نتيجة.. ولم تظهر الحقيقة التى عرفناها من مصدر قريب من يلتسين..

وأنه كان موجودا فى بلدة Uspensky خلال الأسبوعين.. ولكن لم نذكرها هنا احتراما لرغبة يلتسين.

(ملحوظة : اعترف الأطباء هذا الأسبوع ـ سبتمبر ٩٦ ـ ان يلتسين تعرض لأزمة قلبية فى هذه الفترة.. وأنه فرضت سرية تامة على مرضه حرصا على الأمن العام.)

وانتهت هذه الجلسة بإدانة جورباتشوف.. بأنه يمارس أساليب قذرة لتشويه سمعة يلتسين.

واستقرت صورة يلتسين لدى الشعب ولدى الأمريكان تماما فى عام ٩٠.. بأنه نموذج لشخصية فلسفية نادرة.. بنيته الجسدية والنفسية الأولى كانت مدخلا يوحى بمستقبله.. حادثة تعرضه للغرق فى المعمودية فى أيام عمره الأولى.. وكسر أنفه.. واصابته بالتيفود.. وطرده من المدرسة خوفا على التلاميذ من العدوى.. والتى سببت له أول أزمة قلبية.. ثم طرده من الكرملين.. كل هذه المواقف جعلته رجل المواقف الحادة.. وأصبح نموذجا للمثل الشعبى الروسى بأنه (ثلاث وثلاثون كارثة) أو (لديه جاذبية الحوادث).. وأنه بدون شك مولود مع نجم الحظ.. لأنه يخرج من كل ورطة كالشعرة من العجين بالحظ ولعبة القدر وليس بالتخطيط.

أما علماء النفس فوصفوه بأنه شخصية «قابلة للنجاح».

وظهرت شائعة جديدة تقول إن يلتسين يسعى ليكون رئيسا لروسيا الاتحادية؟

واجهوا يلتسين بها.. فقال إنها شائعة!.. هكذا ببساطة ووضوح.. لأننا لا نتبع نظام الانتخاب المباشر لهذا المنصب.. لكنه الكلام عن الجمهوريات أو عن مجلس مدينة موسكو معقول..

وأعرف أنني مرشح.. لكنني مازلت غير متأكد اذا كنت سأقبل أم لا..

ولكن الحقيقة انه كان يسعى لرئاسة المجلس الروسي السوفيتي الأعلى.. لأن روسيا هي أكبر الجمهوريات الخمس عشرة تأثيرا في الانتخابات.

وهكذا خرجنا من مرحلة برلمان جورباتشوف إلى روسية يلتسين.

وكتب المؤلفان عن زيارة يلتسين الثانية لأمريكا:

« في عام ٩١ زار واشنطن للمرة الثانية .. بمنصبه الجديد كرئيس لروسيا.. هذه المرة استقبل رسميا..والتقى بالرئيس بوش.. في الحجرة البيضاوية لمدة ساعة وأربعين دقيقة دون الحاح.. تبعها مؤتمر صحفي في «الحديقة الوردية».

وكان يلتسين قد تغير كثيرا.. تعلم أصول البروتوكول.. والتعامل مع الصحافة.. وعدم الاقتراب في حفلات الاستقبال من أي كأس.. حتى لو كانت كأس مياه ليتجنب الصور الفوتوغرافية والتعليقات.. ولكنهم أيضا لم يرحموه في الصحافة وكتبوا انه صحيح أصبح يتعامل كأنسان متحضر وليس «كدب روسي».. ولكنه مازال مدمنا للخمر.. ويبحث عن صديقه « جاك دانهل » دائما.



٦ صيف ـ خريف ٩٠ وبداية الغضب الشعبى

- الحرية إرادة شعب .. لكن من يحققها ؟!
- الخندق السرى فى الميدان الأحمر .. الذى هرب منه جورباتشوف وزوجته فى عيد العمال مرعوبين من بحور الدم فى عيون الجماهير الغاضبة .





٦

صيف - خريف ٩٠ وبداية الغضب الشعبى

فى خريف ٩٠ أصبحنا متورطين بشكل شخصى فى الأحداث التاريخية «لروسية يلتسين».. فجأة تحولنا من متفرجين إلى مشاركين فى الأحداث التاريخية لتحول الامبراطورية السوفيتية الروسية. وانطبق علينا بيت الشعر الذى يقول: السعيد هو من يزور هذا العالم فى لحظاته المصيرية.

وهذا ما حدث لنا أو شعورنا بعد ١٣ عاما من الهروب .. والبلاد التى نراها الآن هى - عقائديا - مختلفة تماما عن التى تركناها فى خريف ٧٧ .

والآن عدنا لنجدها فى لحظة ميلاد الحرية!! وجورباتشوف هو

«الدايه» الذى يستقبل الحرية على يديه. ولكنه لم يتمهل لذلك كاد يقتل الطفل الوليد لأنه بعد أن أعلن سياسة الإصلاح من منصة الكرملين.. تصور انه ممكن أن يمارس الديمقراطية بنفسه وفى نفس المكان (الكرملين).. كانت هناك فجوة واسعة بينه وبين الجماهير.. وهو يقول شعارات والشعب يطالب باستقالته كأول ممارسة حقيقية للديمقراطية .. لأنه هو والكرملين فريق واحد يجب ازاحته لتطبيق الديمقراطية .

وفى أول مايو ٩٠ (عيد العمال) شهدت ساحة الميدان الأحمر الاحتفال التقليدى بعيد العمال .. دقت ساحة الميدان عشر دقات .. انها الساعة العاشرة .. ظهر زعماء السوفيت بزعامة جورباتشوف.. اعتلى المنصة وخلفه تمثال لينين الضخم .. كان مبتهجاً بالإحتفال يلوح للجماهير وهم نوع من الجماهير المدربة على المظاهرات والأحتفالات الرسمية .. تحمل الأعلام الحمراء والبالونات الملونة وتهتف فى التوقيت المطلوب بعبارات محفوظة . إنهم «جماهير السلطة» .

وفجأة .. ظهرت الجماهير الحقيقية فى أجزاء مختلفة من موسكو .. وبدأت تصل للميدان الأحمر وكانوا منظمين جداً هم أيضاً .

ليسوا من السلطة ولكن من جماعة عقائدية تنادى بالحق فى الانتخاب .. والتى انتخبت مجموعة من الديمقراطيين لدفعهم للإنضمام للبرلمان الروسى .. هذه الجماهير أكبر منظمة سياسية مؤقتة ومستقلة لاتعتمد على الحزب الشيوعى .. الذى فقد مصداقيته منذ زمن وتحول إلى عصابة تتاجر بالشعارات وانتشرت هذه المجموعات من الجماهير الساخطة تحمل لافتات معادية للحكومة فى شوارع موسكو .

وبمجرد دخولهم الميدان الأحمر .. بدأ انسحاب وهروب رجال

السلطة .. فى أقل من ١٢ دقيقة اختفوا وتبعهم مئات الآلاف من المتظاهرين المأجورين .

وكانت أول مواجهة بين جورباتشوف وبين الأحزاب السياسية المستقلة القادمة فى روسيا الحرة . وظهرت لافتات تحمل «حرروا ليتوانيا الآن» «تحيا ليتوانيا حرة مستقلة.. » « تسقط ماركسية لينين .. ويسقط الحزب الشيوعى السوفيتى» .

حالة من النضج السياسى .. جعلتهم ينفجرون .. رافضين تحمل المزيد من التضحية بالحرية الشخصية .. مقابل جوع وفقر وقمع . والآن صاحت الجماهير مثل الكومبارس فى الميكروفونات .. «ليسقط كل الظلم». فى البداية تماسك جورباتشوف .. ابتسم متظاهرا بأن مايحدث لاقيمة له واستمر فى التلويح للجماهير التى تطالب باستقالته . هل كان يرتدى قناع الشجاعة ؟ ولكنه تدريجيا تهاوى .. ولم يطمئنه شىء سوى الحراسة المسلحة التى تحيط به .

وارتبك ، انحنى يسأل رئيس الوزراء بجواره هامساً ماذا نفعل .. ولم تلتقط الكاميرا مانصحه به .. ثم مال على زوجته راسيا يسألها .. فقالت وهى مزعوبة .. يجب ان ننسحب حالاً .. لأن بحور الدم التى شهدها التاريخ من قبل هاجمتها فى لحظة .. ولأول مرة يسمع كلامها .. وانسحبا هاربين من خندق سرى يصل بالكرملين والجماهير الساخطة تصفر وتصيح «عار .. عار» .

وقرر بعد عيد العمال هذا تغيير سياسته فى تطبيق الحرية .

وقدم جورباتشوف استقالته فى الوقت المناسب .. ليضمن الحفاظ على كرامته . رغم غضب الكرملين .. لأنه أدرك أن ثورة جامحة قد بدأت وأن الجماهير فاض بها والانفجار بدأ .. وأصبحت القاعدة الجماهيرية هادئة لانها استقرت على الرفض.. أما طبقة

الحكام فهى فى حالة اضطراب يصمون آذانهم عن سماع غضب الجماهير.

إنه الآن فاقد الجذور.. الريح تدفعه لايعرف لأين، لا تؤيده إرادة شعب.. ولا قوة جيش وحماية المخابرات المركزية.

بعد خمس سنوات من حكمه. اختار الشعب شخصا آخر يدافع عنه.

وهكذا اجبر يلتسين بقوة اختيار الشعب على العودة للسلطة.

فى هذا الوقت استطاع شخص ما تسريب فصل من كتابنا «وراء حائط الكرملين المرتفع» وهو الفصل الخاص بجورباتشوف.. وطبعه طباعة شعبية رخيصة.. مع إضافة بعض المقالات السياسية ووزعها فى كل أنحاء روسيا.. رأيناها فى شارع جوركى.. وميدان باشكين والميدان الأحمر.. فى ممرات انفاق المترو.. والقطارات.. وأحد البائعين كتب بخطه يافطة «الكاتبان الامريكيان فلاديميرو ايلينا ضد جورباتشوف».. وبجواره شخص يصيح بحكايتنا..

وقال عنا اننا كنا أعضاء سابقين فى اللجنة المركزية وكنا نعمل تبع المخابرات البريطانية ثم لفظونا للخارج.

وقرأنا فى جريدة روسية أن البائعين تم القبض عليهما.. ودفعا غرامة.. وصودرت نسخ الكتيب.. ولكن عندما عدنا لموسكو كان قد أطلق سراحهما مقابل كفالة (ثلاثة روبلات).

وكان من الممكن أن نقع تحت طائلة القانون الجديد الذى ينص على معاقبة من يهين رئيس الدولة.. لولا أن جورباتشوف عندما سألوه هل قرأت الكتيب أجاب نعم.. هل أهانوك؟.. لم يجب لانه كان يرفض أن ينقده أى شخص ولايعترف ان هناك من يجرؤ على ذلك.

أصبحت الكلمة التى تتردد فى كل مكان هى الحرية.. ولكن لا أحد يعرف حدودها ولاكيفية ممارستها انها إرادة الشعب.. وفعل سياسى ولكن من يترجمها إلى ممارسة ملموسة!!

وصلنا موسكو فى أيام الانتخابات.. جورباتشوف فرش طريقه للعرش بأصوات أعضاء الكرملين المطيعين. ويلتسين هو أشهر سياسى فى المدينة وعندما طرحت إحدى الصحف سؤال من الذى تثق فيه أكثر؟.. كانت الأصوات فى صالح يلتسين (١٤٢٠).. أول القائمة.. وجورباتشوف فى آخر القائمة (١١٥) من اجمالى (١٥٣٥) صوتا.

ولم يفقد الأمل.. حاول الحصول على منصب رئيس الوزراء وهو منصب هام يعتبر همسة الوصل بين المتحدث باسم البرلمان وبين الرئيس.

ورئيس روسيا حلم.. لانها تمثل سدس حجم الأرض على سطح الكرة الأرضية.. وتزيد عن حجم الولايات المتحدة ٢,٣ مرة و٤٠عن فرنسا و٩٢عن بريطانيا.



٧ الانقلاب في التليفزيون

● ويبقى الحدث الهام.. الذى مازالت أسراره كامنة فى صدور الشهود والأبطال، أو فى أوراق مدفونة فى خزائن سرية.

● وهو حقيقة ماحدث فى انقلاب أغسطس ٩١.. هل كانت فعلا مؤامرة خططها جورباتشوف للقضاء على المعارضة؟ أم كانت تمثيلية أمريكية ـ روسية للاطاحة بجورباتشوف، وتسليم الحكم ليلتسين؟ لم يعترف أحد للآن.. ولم يعرف المؤلفان الحقيقة.. فقط رأيا وسمعا وجمعا معلومات وسجلا وقائع واعترافات لبعض شهود الأيام الثلاثة.. من المقربين للرئيسين، ومن ملفات التحقيقات مع زعماء المؤامرة. ولكن ظلت علامة الاستفهام قائمة عن أسرار هذه المؤامرة التى تحولت إلى ثورة غيرت نظــــام الحكم والماضى والمستقبل فى ثلاثة أيام.. ودون اطـــلاق رصــاصـــة واحـــدة.. وبهدوء لم يسبق لــه مثيل!





الانقــلاب فى التليفزيون

وقت الانقــلاب.. كــان المؤلفــان فى أمــريكــا.. وأعلن نبأ حــدوث انقــلاب فى موسكــو.. نبأ خال من أى تفــاصيل.. اشـــاع حالــة من القلق والترقب فى العالم كلــه.. لاأحد يعرف من يقود الانقــلاب ضد من.. وأين جورباتشوف.. هل اعتقلــوه.. هل قتلوه.. كل ماأذيع هو أن الكرملين والبيت الأبيض الروسى محاصران بالــدبابات.. ومئات الآلاف من الشعب يحيطونهما فى الشوارع.

وكتب المؤلفـــان عن متــابعتهما للمـــوقف من خــــلال الاعــلام الأمريكى :

خلال أيام الانقــلاب الثلاثة ـ من ١٨ إلى ٢٠ أغسطــس ـ .. كنا

نستغـرق أكثر من سـاعة متصلـة لننجح فى الاتصــال بموسكـو.. المساء فى نيويورك هو فجر مـوسكو.. فى الفجر نجحنا فى الاتصال بصــديق قال ان جـورباتشـوف مقبـوض عليه فى منـزله.. أخـذوا الحكم.. سألناه عن يلتسين فانقطع الخط.

كانت الأنباء قليلة وغير مـؤكدة.. أخيرا جاء نبأ يقول ان يلتسين يحاصر بقواتـه المدربة تدريبها عاليـا منزل جورباتشوف.. وربما يقتحمه.. وحدثت عدة مكـالمات تليفونية بين «بوش» و«يلتسين» فى منتصف الليل الأمريكى.

ورأينا مظاهرة لاستعراض القوة.. ألقى يلتسين خطابا من فوق إحدى الـدبابـات وحولـه سياج بشرى من مـؤيديـه المتظاهـرين.. يحيطون بالبيت الأبيض الروسى.

وجاء شكل يلتسين وهو يخطب من فـوق دبابة.. مثـل صورة لينين عام ١٩١٧ فى عربته المدرعة.

عمـومـا.. انقـلاب وثـورة وأحـداث خطيرة ليست من الـروتين اليومـى لروسيـا.. وفى عصر التليفزيون حتـى الحقائق الـواضحة تتحول إلى استعراض.

تصورنـا أن مايحدث مـأساة ونحن بعيـدا فى نيويـورك .. لكنه تحول إلى «هـزل» سريع عمره ثـلاثـة أيام.. انتهى كما بـدأ فجأة.. وبدلا من آلاف القتلى فى الشوارع.. قتل ثلاثة فقط من كل جانب.

ثـلاثة قتلـوا فى معـركـة الدفـاع عن الـدبابـات.. وواحـد اطلق الرصاص على نفسه قبل عشر دقـائق من اعتقاله.. والخامس شنق نفسه بمكتبه فى الكرملين.. والسادس انتحـر أيضا بإلقاء نفسه من البلكونة.

ووصلت تقاريـر رسمية من مـوسكو.. تقول إن شجـرة الحرية يجب أن تروى من وقت لآخر بدماء الوطنيين والطغاه.

وفى نفس الليلـة تمت إعادة جـورباتشوف وعـائلته لموسكـو.. واحتل يلتسين كـرسى السلطة.. وتحول جـورباتشوف إلى الـرجل الثـانى.. لأن روسـيـا كلهـا وقفـت خلف يلتسين.. أمـا بـاقى دول الاتحاد فبدأت تختفى.

أصبح واضحـا أن مقـاليـد الأمـور فى يـد يلتسين.. وأن جوربـاتشوف بات عروسـة «ماريونت» يحركها ويأمـرها فتطيع.. وبدأت لعبـة القط والفأر.. القط كان جورباتشـوف الذى يقع دائما فى المصيدة التى وضعها للفأر.. فاستحق شفقة الجميع.

والحقيقـة أن الانقلاب كـان مؤامـرة من رجال جـورباتشـوف للايقـاع بيلتسين والتخلص منـه.. لكنهـا انقلبت عكسيـا.. هـذا ماعـرفناه بعد أن عدنـا لموسكو نتقصى الحقائق بأنفسنـا مباشرة بعد الانقلاب.

« عـرفنا ان المخـابرات المركـزية وضعت يلتسين تحت المراقبـة الشديدة فى الأيام السابقة للإنقـلاب.. تليفوناته..اتصالاته.. أسرته.. مدرب التنس.. وزعت له كاميرات سريـة فى أماكن مختلفة.. حتى فى حمام الساونا.

وبعـد انتهـاء التحقيق وجـد المحققـون شريط تسجيل شـديـد الخصـوصيـة ليلتسين فى مكتب رئيس حـراسـه.. لم نعـرف هل استطاع جورباتشوف سماعه أم لم يسعفه الوقت.

واعترف لنا أحـد الجنرالات.. انـه كان ممكـن اعتقال يلتسين فى أى لحظـة.. سألاه هل كـانت هنـاك أوامـر بقتلـه؟ أجـاب:لا.. فقط القبض عليه وعزله.

وبعد إعلان اختفـاء جورباتشوف.. بدأ وصـول مؤيدى يلتسين إلى مقـر إقـامتـه فى قـريتـه.. والكـل يتـوقع القبض على كل زعماء روسيـا.. وصممـوا على الـذهاب معـه إلى مـوسكـو لحمايتـه رغم

المخـاطـرة. والطرق المسدودة بقادة الإنقلاب.. والنقط العسكرية.. لكن بعد خروجهم بعشرين دقيقـة.. وصل رجال المخابرات للقبض على يلتسين.. أحاطـوا بالقريـة كلها.. حـاصروها.. منعوا الـدخول والخروج منها.

وقـرأنا فى التحقيقـات سؤالا لقـائد الإنقـلاب.. هل كانت لـديك أوامـر بنسف البيت الأبيض. قـال نعم.. وكـانت معى قـوة من ١٥ ألف فرد من الوحـدات الخاصة للمخابرات.. صورنـا كل ما حدث لأنه كـان لنا عمـلاء داخل البرلمان وخارجـه.. ومن ضمن المدافعين عنه أيضا.. وكـانت خطتنا هى اخلاء الميدان بإلقـاء القنابل المسيلة للدموع بعد منتصف الليل لفـض زحام الجماهير.. ثم تهجم قواتنا أرضـا وجوا لـلإستيـلاء على المبنى خـلال ١٥ دقيقة.. وحمدا للـه اننى لم أنفــذ ذلك.. لأنـــه كــان سيتحــول إلى حمام دم.. وكنت سأرفضــه إذا وصلنى الأمــر بـالاقتحـام.. لكن مــرت سـاعـات ولم يصل الأمر.. ربما لأن رئيس القـوات الجوية هدد بإلقـاء قنبلة تنسف البيت الأبيض.. وربما لأن المخططين لم يتـوقعـوا كل هـذه المقاومـة العنيفة والدفـاع المميت من أنصار يلتسين.. الـذين أنقذوا حيـاته فعـلا.. وأحاطـوه بسيـاج بشرى من أجســام الـرجـال والنساء.

والحقيقـة التى استخلصتناهـا من الاعترافـات وأوراق التحقيق.. أن الإنقلاب فشل بسبب بيروقـراطية المنفذين.. وآخرون قـالوا انه فشل لأن المدافعين عن البيت الأبيض كانوا مستعدين للنضال لآخر قطـرة.. والمهـاجمين على العكس.. مهزوزون.. مـرعـوبـون.. ليس لديهم خطة واضحة.. خائفون من اطلاق النار..

لـدرجة ان الشعب تعـاطف مع هـؤلاء الجنـود المعتدين الـذين جـاءوا من خارج مـوسكو.. لا يعـرفون شكل مبنى الكـرملين من

البيت الأبيض.. ولا أين موقعه.. يحملون خرائط سياحية للمكان.. ظل الشعب يمدهم بالطعام.

واعترف أحد زعماء الانقلاب وهو الليفيتانت كولونيل ميخائيل جولوفانف.. انهم لم يكن لديهم خريطة للبيت الأبيض من الداخل.. كل مايعرفونه ان مكتب يلتسين موجود فى مكان ما بالدور الخامس.. ومعروف ان تصميم البيت الأبيض ليس بسيطا.. انه متاهة إذا نجحت فى الوصول إلى مكتب فيه ستجد صعوبة شديدة فى الخروج.. وكان مخططا ان يصلوا مكتب يلتسين ويخرجوا من المبنى فى دقيقتين!!

وأكد أكثر من متهم.. ان الأوامر كانت عدم اطلاق النار.. وان الأمطار التى انهمرت على موسكو ساعدت على انقاذها من بحر الدماء.. لأن الطائرات الهليكوبتر التى كان مفروضا ان تشارك فى تفجير البيت الأبيض عجزت عن الرؤية.

ولكن الحقيقة ان أحدا لم يتلق أمرا بتنفيذ بقية المهمة.. ووصل يلتسين.. أعلن عن وجوده للجماهير.. وأعطى أمرا هادئا لقائد القوات بانسحاب الـ١٠٣ دبابات فورا.. ثم أعلن نفسه القائد الأعلى للقوات المسلحة فى غياب جورباتشوف.. واتهم المتآمرين بالاجرام.

وبسرعة نظم صفوفه.. أرسل وزير الخارجية لأمريكا.. وظل على التليفون مع الرئيس الأمريكى بوش ومساعده جون ماجور يجمعون معلومات ويهددون ويساومون.

أما كل مافعله جورباتشوف.. فهو إذاعة خطاب جماهيرى فى التليفزيون من مكانه فى منزله الريفى فى Foros.. قال علمنا بما يحدث فى موسكو من محطة أجنبية فى الراديو لأن الاتصالات كانت مقطوعة بالقصر.

ولكن أحد المسئولين عن القصر.. وهو واحد من الثمانية

مديرين المعينين من المخابرات المركـزية المختص بالاتصالات.. قال ان خطـوط الاتصال بـالقصر لم تمس.. وان القصر مجهز بمحـول كهربائى يعمل أوتوماتيكيا فى حـالة فصل التيار.. وهناك نظام آخر لاأستطيع الكلام عنه.. وإلا تم إعدامنا رميـا بالرصاص فورا.. لأن بلايين الروبلات صرفت لتنفيذ هذا النظام وهو سر لحماية الرئيس.

وبدأت تنطلق شـائعات بأن «راسيـا» زوجة جوربـاتشوف هى الرأس المدبر للانقلاب لأنها معتادة التدخل فى السياسة.. وذلك بعد اعـلانها أن خطـوط التليفـون قطعـت عنهم حتى الخط السـاخن.. وانهم كانوا محاصرين داخل القصر..

وقـد أكـد حـرس القصر.. وحــرس الموانى.. انهم شــاهـدوا جوربـاتشوف طوال الأيام الثـلاثة للانقلاب يمارس حيـاته بشكل عادى.. ويسبح مع أحفاده فى حمام السباحة.. ويتمشى فى الحديقة بكل هدوء.

وفى العـاشرة من صباح اليـوم الثالث لـلانقلاب.. عقـد يلتسين جلسة للبرلمان ورأسها.. وأعلن أنــه أرسل وفدا إلى Foros لاحضار الرئيس جورباتشوف.. الذى قال انه لن يخبر أحدا بتفاصيل الأيام الثلاثة.. وانه أمر بالتحقيق مع المتآمرين.

وظهــرت تسـاؤلات.. هل أرسل يلتسين الــوفــد للقبض على جورباتشـوف.. أم لاحضاره واستجوابه؟!..

وعموما.. فان حقيقة ماحدث فى الأيام الثلاثة ستظل خافية.. لن يعرفهـا أحد لعدة أجيـال قادمة وربما لـلأبد.. مثل كثير من الأحـداث الخطيرة فى تـاريخ روسيا.. منـذ مقتل الامبراطـور «بيتر الثـالث».. ولم يعرف أحـد هل قتل فى معـركة مع عشيق زوجتــه.. وهل مـات لينين ميتة طبيعيـة أم أمر ستـالين بقتله!.. وكيف مـات ستالين نفسه؟ أسئلة لم تجد اجابة حاسمة.

والآن أضيف للتاريخ سـؤالا جديـدا.. ما دور جوربـاتشوف فى المؤامرة التى أطاحت به؟

مساعد يلتسين قال لنا : ان جوربـاتشوف أكد أن هناك مؤامرة دبرهـا ثلاثة جنـرالات.. رئيس المخابرات المركـزية ووزير الـدفاع ووزير الداخلية وان يلتسين أصر على اقالتهم فى اليوم التالى بعد أن قدموا له الوثائق التى تدينهم.

تبعها حـوادث لمجموعـة من كبار مسئـولى الحزب.. كان تعليق الجمهور على ذلك.. «انهم يعرفون أكثـر من اللازم.. عن الاستعداد للمـؤامرة.. وعـن ثراء أعضـاء الحزب ونقـودهم المهـربة للخـارج بالروبل وبالدولار.. ومن سبائك الذهب».

ولم نلتق بمـواطن روسى واحـد يصدق انهم انتحـروا.. إلا من كانوا يخافون نفس المصير وهم فى السجون الآن.. ومنهم المتحدث الرسمى السابق للبرلمان.. وهو أقرب صديق لجورباتشوف..

وانتهى كل شىء.. وتبقت مجموعة كبيرة من الأسئلة الحائرة..

هل كـان استجـواب جوربـاتشـوف بعـد المؤامرة كشـاهـد أم كضحية؟

لماذا أصر النظام على محاكمة المتآمرين فى جلسة سرية؟

وفى النهايـة أخبرنا أحد أعـوان يلتسين أن نبحث عن الحقيقة فى أمـريكا. قـال لنا ان الـرئيس «بوش» يعـرف كل شىء من البدايـة للنهاية.. فقط أصبروا .. الخطة لم تنته.



٨ حقل ألغام السلطة نهاية شتاء ٩١

●كانت ضربة جورباتشوف القوية الأخيرة ليلتسين .. هي السبب المباشر في انتصاره وشعبيته.. وفي نجاح انقلاب أغسطس ٩١، الذي سجله التاريخ على أنه أسرع وأعجب انقلاب تم في ثلاثة أيام .. ونجح بدون إطلاق رصاصة واحدة ..

● ويبقى سؤال .. هل يلتسين بطل فعلا ؟.. وكيف سيصفه التاريخ عندما تظهر كل الحقيقة ..





٨

حقل ألغام السلطة نهاية شتاء ٩١

خريطة روسيا الموجودة فى مكتب يلتسين .. عليها علامات بأقلام ملونة.. انها دوائر حول مناطق الصراع والاضطرابات.. وهى كثيرة لدرجة انك ترى ملامح الخريطة بصعوبة.

وشكل مكتبه يوحى بأنه مازال يهوى التحدى.. ويعشق سلوك المراهقين.. أو انه لم يشبع من لعبة الحرب طفلا.. لذلك فهو يصطاد المعارك ويستمتع بها.

واطلقت عليه أوصاف ساخرة كثيرة منها «أنه أحسن من يقفز من فوق الكوبرى وهو داخل زكيبة».. ورسموا له صورا كاريكاتوريه وهو يطلب من مساعديه أن ينقلوا مكتبه ليضعوه على قمة بركان.

باختصار.. روسيا بمشاكلها تشبه البدلة المصنوعة تفصيلا على مقاس يلتسين .. الذى لا يهوى أكثر من حالة الطوارئ.. وكلما كانت مرعبة ارتاح وتحمس أكثر.

وهو الآن متورط فى حرب ضد انهيار اقتصادى.. بطالة.. مجاعة.. تدهور.. ومرض الموت.

والحقيقة أن الموقف بعد توليه الرئاسة .. لايحمل بارقة أمل.. وهو يعترف انه يواجه أصعب سنوات حياته.. لذلك رأيناه يتناول طعامه فى مكتبه.. ويواصل العمل بنفسه فاقدا الثقة فى كل من حوله بعد خيانة أقرب أصدقائه فى لجنة الحزب فى موسكو.

لم يعد يثق إلا فى زوجته فقط.. التى ساعدته على الصمود .. ولكنه أخيرا وجد صديقا كان يعمل معه فى المصنع .. وهو «ليف سوخانوف».. الذى أصبح لصيقا أمينا وفيا له.. يحميه وينصحه ويختلف معه دون نفاق.. وهو يشبهه حتى فى الملامح ولا يفترقان.

وليلتسين مكتب فى البيت الأبيض.. والآخر فى الكرملين .. وهذا الأخير للاحتفالات ولاستقبال الزوار الأجانب و«المنظرة» فقط وليس للعمل.

أما مقر الرئاسة الذى احتله «الديمقراطيون» فى اليوم التالى لفشل الانقلاب مباشرة.. مدفوعين بنشوة الانتصار على الشيوعية.. والرغبة فى امتلاك ماكانوا يتمتعون به.. فهذا ماحدث له وفيه.

هناك عدة تليفونات فى حجرة Burbulis مستشار يلتسين.. وهى متصلة بالنواب والوزراء المنتظرين الأوامر. فى هذه الحجرة جلسنا طويلا وسمعنا الكثير من التعليقات والآراء.. منها انه من الظلم إدانة يلتسين على كل الأخطاء لأنه حديث العهد ـ رئيس جمهورية من ثلاثة أشهر فقط ـ وأن المسألة انه لايوجد نظام عمل أو أسس يسيرون عليها.

فى حجرة الاستقبال.. أرفف تحمل «عملات» وأوانى شاى

مطلية بالنيكل.. وهدايا تذكارية من أكواب الشاى المزينة بصورة الكرملين.

وتم رفع اللوحات الثمينة العملاقة لصورة «لينين» من حوائط المكتب.. واستبدالها بصور أصغر لمناظر طبيعية رخيصة الفن والاطار.

هنا تشعر كأن الديمقراطيين هجموا على المكان.. نهبوه.. واحتلوا كل ما استطاعوا من مكاتبه.. وأن المكاتب «تلفظهم».

ثم هبطوا للمعركة الثانية فى «الجاراجات» للاستيلاء على العربات الليموزين الحكومية.. تصرفوا كالأطفال وكالمتسولين المتعطشين الذين يريدون خطف أى شيء!!

ورأينا حمامات الطابق الخامس الواسعة الفاخرة بمراياها الضخمة.. ولكن وجدناها بدون «ورق تواليت» .. تماما مثل أى حمام شعبى مجانى فى موسكو.. واخبرتنا عاملات النظافة انهن قدمن شكوى بأن المستشارين والوزراء والنواب يسرقون ورق التواليت بمجرد وضعه فى الحمامات صباحا.. باعتباره «ثروة» يعودون بها لمنازلهم.. وانهم لا يشبعون من النهب.

صالات الطعام كانت بلا جرسونات .. لأن معظم موظفى البيت الأبيض كانوا يتعاملون بأسلوب «اخدم نفسك».. والاستثناء الوحيد كان لمن هم فى مستوى يلتسين الوظيفى وهم مساعدوه فقط.

فى الكافتيريا تستطيع شراء الخبز وفطائر اللحم والسجق والتفاح.. وهى فرصة لم يتوقف النواب عن انتهازها يوميا.. لأن الأسعار متواضعة.. وان كانت أغلى من أيام العز التى ولت.

والطعام كان مستويات أيضا.. «مقبول» المذاق.. خاليا من الزخرفة.. لأن رئيس البيت الأبيض الروسى لم يكن «مفجوعا».. كان يرضى بالتهام أى شيء يوضع أمامه.. دون اهتمام بنوعيته.. فالطعام بالنسبة له عمل روتينى بلا شهية ، هدفه قيام الجسم بوظائفه الحيوية.

وأصبح كل إنسان هنا ضد الآخر.. لم يعد صراع ضد يلتسين.. إنما البحث عن الوظيفة التى توفر لهم تملقه.. لقد سقط فى بحر الغام السلطة.. كما وصف مساعده Burbulis الوضع.

وكان يلتسين قد جمع أعضاء الحزب الشيوعى بمجرد فشل الانقلاب لإعادة تشكيل قاعدته.. وأغلق كثيرا من الصحف التى أيدت الانقلاب.. والتى لم تعارضه. ولكن هذا لم يمنع رسائل الهجوم والنقد اللاذع المزعج من مواطنين.. وصحفيين لم يتعودوا كيفية استخدام الديمقراطية.. وكأنهم يريدون اختبار هذا القادم الجديد للسلطة.

وهو صامت.. لايجيب سوى باشارات من يده تعبر عن الملل.. واهمال سخافات السابقين.

ولكنه دخل فى نوع جديد من «الصداع».. وهو مواجهة لصوص المرحلة الانتقالية.. والتعامل مع العبارات اللاذعة التى أصبحت شعارات المرحلة الجديدة.. مثل «أيام الصيد الثمين» .. «إعادة توزيع الممتلكات».. «أسرق الحرامية» .. «الفتوات يطلقون على أنفسهم ثورجية».. «الديمقراطيون هم شيوعيو الأمس وديكتاتوريو الغد».

وكتبوا كلمة الديمقراطية بكل اللغات.. الفرنسية والايطالية والانجليزية.. وبعدها علامة تعجب.. ويقصدون أن شعار الديمقراطية هو شعار يتم النصب به فى العالم كله.

وقالوا إن الثورة أعدها مثاليون.. ونفذها متعصبون.. وجنى ثمارها الأشرار أو «البلطجية».

وفى النهاية اطلقوا صرخة استنجاد تقول :

«أوقفوا الثورة.. لقد جمعت مكاسبها وانتهت.. رغم أن البعض يؤكد انها لم تبدأ بعد».

فقد كان العالم كله يخشى فوضى وشغب الثورات ومتطلباتها. لكن المفاجأة المذهلة أن الشعب كان محدودا .. كانت كل رغبة

الثوار إزالة تماثيل الرفيق «لينين» فقط!! ثم هدأ الثوار!

وهذا يؤكد أن هذه الثورة كانت بلا خطة اصلاح.. ولا خطة انتقام وسلب ونهب .. ولا أخطار حتى!.. فلم تسبب الحد الأدنى من الكوارث.. ولم ينتج عنها أى حلم مبهر بروسيا القادمة.. ولم تظهر بعدها أى ملامح للطموح الشعبى.

ونفس الحال ينطبق على يلتسين وطموحاته .. بمقارنته بكل الشخصيات التاريخية البارزة التى قادت ثورات.. نجد انه بدأ يفتقد التألق والنهم للسلطة.. وكأنما المعركة للوصول للسلطة كانت أجمل وأهم بالنسبة له من جنى ثمار السلطة نفسها.. وانه بمجرد أن وصل للقمة شعر بالضياع.

وبمنطق ميكيافيللى ـ الغاية تبرر الوسيلة ـ .. إذا قارنا يلتسين بجورباتشوف .. فإن جورباتشوف ثعلب ماكر يتجنب المصيدة بذكاء حاد لكنه يخاف من نباح الكلاب.. بينما يلتسين «أسد» لا يخاف الكلاب.. بل أثبت انه يستطيع أن يخيفها.. ولكنه ممكن أن ينخدع ولا يرى الفخاخ المنصوبة فى طريقه.

وأول فخ سقط فيه.. هو ألعاب القوة التى مارسها عليه مؤيدوه.. الذين اعطاهم أدوارا بارزة.. وأخطأ عندما احتفظ بقدامى الاباطرة لمشاركته الحكم.. لأنه هنا كمن غير «يافطة المحل» واحتفظ بصاحبه القديم.

الوضع الذى رأيناه هناك.. هو أن يلتسين قائد سفينة تغرق.. وبغض النظر عن رأينا الشخصى فيه.. فنحن لا نجرؤ بكل اخلاص على اغلاق هذا الكتاب بشىء من التفاؤل.

الاتحاد السوفيتى مات.. والكومنولث ولد.. وصحيح أن يلتسين يجلس الآن فى مكتب جورباتشوف القديم فى الكرملين .. لكن الكومنولث لا يوافق على أغلب الموضوعات التى يطرحها.. ويواجه احتمالات انقلاب جديد يشبه انقلاب أغسطس.

هل سينجو يلتسين ؟

هل سينجو الكومنولث ؟

لم يواجه أى زعيم هذا الموقف الذى يحتاج إلى سوبر مان.

فى عام ٩١ شفى يلتسين روسيا من عبء العقيدة .. من الامبراطورية ومن الحكم الشمولى .. لكن قضية التحول الاقتصادى ورفع مستوى المعيشة.. وبث الثقة فى النفس وفى مستقبل روسيا مرة أخرى يحتاج لزمن آخر .. ويلتسين وصل للسلطة سنوات كثيرة متأخرا.

والآن يجب على يلتسين العدو عكس عقارب الساعة.. فهل يملك الصحة والعمر الكافيين ؟

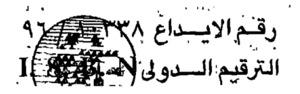
الدائرة الآن أصبحت مكتملة.. فى بداية الكتاب أطاح جورباتشوف بيلتسين من على قمة السلطة .. لكن بعد أربع سنوات انتقم يلتسين لنفسه ولسنوات الذل وطرد جورباتشوف من الكرملين.

جورباتشوف هو الماضى .. ويلتسين هل هو المستقبل ؟

وماذا عن روسيا التى فقدت ثباتها بعد ضياع الامبراطورية التى استقرت عليها مئات السنين.. ما مستقبل هذه الروسيا الجديدة.. وما شكله ؟

الواقع يقول إن روسيا وضعت قدمها على بداية طريق جديد.. الديمقراطية.. وليس أمامها اختيارات أو بدائل.. وبوريس يلتسين مثلها ليس أمامه سوى نفس المصير.

ولكن تبقى حقيقة تاريخية.. أن يلتسين هو الزعيم.. وهو البطل الأسطورى الذى حول الحلم إلى حقيقة.



رقم الايداع ٣٣٨ /٩٦
الترقيم الدولى I.S.B.N



طبع بمطابع أخبار اليوم